التلوث السمعي والبصري

ومنهج الإسلام في علاجه

" دراسة نظرية تحليلية "

إعداد

د/ محمد عبدالمولى قاسم عبد الرحمن

أستاذ مساعد بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر بالقاهرة

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

التلوث السمعي والبصري ومنهج الإسلام في علاجه " دراسة نظرية تحليلية "

محمد عبدالمولى قاسم عبد الرحمن.

قسم الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

البريد الإليكتروني : Mohamedabdelmwlaa.2013@azhar.edu.eg

الملخص

التلوث السمعي والبصري من الظواهر التي تنامت مظاهرها في المجتمعات المعاصرة وكانت لها أسبابها، كما كانت لها آثارها على الإنسان حساً ونفساً وجسداً، والمتتبع لنصوص الإسلام يتضح له أن الإسلام وضع منهجا سديداً لعلاج مثل تلك الظواهر من خلال تعاليمه وآدابه السامية، ومن خلال صفحات هذا البحث قمت بوصف تلك الظاهرة مبيناً أسبابها وآثارها، ثم عرَّجت على مبادئ الإسلام وأسسه، وما أشارت إليه تعاليمه من خطوات عملية لعلاج تلك المظاهر.

ويهدف البحث إلى: بيان خطورة مثل هذا النوع من التلوث، وأن دراسته لا تقل أهمية عن غيره من أنواع التلوث البيئي التي باتت تشغل المتخصصين، وإلى تقديم تصور صحيح حول إمكانية علاجه في ضوء تعاليم الإسلام، وتقديم مادة علمية للدعاة والمعنين بالتوجيه والتثقيف في المجتمع.

ومن أهم توصيات البحث: ضرورة قيام الدعاة والمعنين من الإعلاميين ورجال الثقافة والفكر بدورهم في توعية الناس بخطورة مثل هذا النوع من التلوث والعمل على تنقية المجتمع والبيئة منه، دعوة المؤسسات التربوية إلى تدريس مادة تهتم بالسلوكيات الحضارية والقيمية في المجتمع،

ضرورة اهتمام الآباء والمربين بتربية أبنائهم على حب أوطانهم والمحافظة على عناصرها وصورها نقية جميلة، مع الالتزام بآداب الإسلام الحضارية.

الكلمات المفتاحية: التلوث السمعي، التلوث البصري، التلوث، علاج التلوث، منهج الإسلام، الإسلام والتلوث، الإسلام والبيئة.

Audio and visual pollution and the approach of Islam "in its treatment "analytical theoretical study

Mohamed Abdel Mawla Qasim Abdel Rahman, Assistant Professor.

Department of Islamic Culture, Faculty of Islamic Da'wah, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

Email : Mohamedabdelmwlaa.2013@azhar.edu.eg

Abstract:

Audio and visual pollution is one of the phenomena that have grown manifestations in contemporary societies and had their causes, as they had their effects on the human sense, soul and body, and the follower of the texts of Islam is clear to him that Islam has developed a sound approach to treat such phenomena through its teachings and etiquette, and through the pages of this research I described that phenomenon, indicating its causes and effects, and then I returned to the principles of Islam and its foundations, and the practical steps indicated by its teachings to treat those manifestations.

The research aims to: show the seriousness of this type of pollution, and that its study is no less important

than other types of environmental pollution that have become the concern of specialists, and to provide a correct perception about the possibility of treatment in the light of the teachings of Islam, and to provide scientific material for preachers and those concerned with guidance and education in society.

Among the most important recommendations of the research: the need for preachers and concerned media professionals and men of culture and thought to play their role in educating people about the danger of this type of pollution and work to purify society and the environment from it, calling on educational institutions to teach a subject concerned with civilized and value behaviors in society, the need for parents and educators to raise their children to love their homelands and preserve their elements and images pure and beautiful, while adhering to the civilized ethics of Islam.

Keywords: Noise pollution, visual pollution, pollution, pollution treatment, the method of Islam, Islam and pollution, Islam and the environment .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خَلَقَ بِقَدر، وأَحْسَن ما خَلَق، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد،،،

فالحواس هي النوافذ التي من خلالها يمكن للإنسان أن يدرك ما يحيط به، وأن يتعرف على ما حوله ومَنْ حوله في عالمه الخارجي، وأن يميز بين ما في الكون من جمالٍ وقبحٍ، ونافعٍ وضارٍ، وهى دليل الإنسان ومرشده إلى ما فيه قوام حياته جسدياً وإشباع روحه ونفسه معنوياً، وفي مقدمة تلك الحواس السمع والبصر؛ إذ عن طريقهما يتمكن الإنسان من إدراك المسموعات والمرئيات في البيئة المحيطة بكل عناصرها وأنواعها، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١).

ولقد خلق الله – تعالى – الكون غاية في الإحكام والإبداع، وجعل ما فيه مسخراً لإشباع الحواس بما فيه غذاء للنفس والروح، فكما أوجد الخالق في كونه ما فيه غذاء ومنافع لجسد الإنسان من مشروب ومطعوم ومركوب، أوجد ما يشبع الحواس ويغذي النفس والروح من مسموع ومرئي وملموس ومشموم؛ فجعل الخالق – سبحانه – في الزروعِ والأشجارِ الثمارَ غذاءً للبدن، والبهجةَ غذاءً للنفس والروح، والأنعامَ للركوب والأكل وموطناً للزينة والجمال، وفي السماء خُلقت النجوم علامات للاهتداء وزينة للناظرين، ومن البحار يُستخرج اللحم الطري والحلي، والبيوت جعلت

(١) سورة النحل الآية: ٧٨.

للسكن البدني والسكينة النفسية، وفي هذا دلالة واضحة على أهمية إشباع الجانب الروحي والنفسي في الإنسان.

كما عنيت رسالة الإسلام بالتشريعات التي تعين الإنسان على إشباع هذا الجانب عن طريق الحفاظ على البيئة التي يعيش فيها على طبيعتها التي خلقها الله عليها وما سُخرت من أجله، دون وجود ما يشوه صورتها الجمالية أو يشوش على طبيعتها السكنية من هدوء وسكينة.

غير أن هذا الأمر لم يدم على حاله، فلم تبق للبيئة طبيعتها، ولم يُحفظ لها جمالها وهدؤها، فمع تنامي النشاطات البشرية، والتقدم الصناعي والتكنولوجي، وفي ظل الجهل بحقيقة الدين وشمول تعاليمه، وضعف الالتزام بآداب للإسلام وسلوكياته، والثقافة المغلوطة في التعامل مع عناصر البيئة وأدوات التقدم الحديثة، وتغلب المادة على حياة الناس وتعاملاتهم، وتغليب الأنا والمصلحة الشخصية على حقوق الناس والمصلحة العامة، كل هذا وغيره أسهم في تغيير البيئة وإفساد عناصرها المسموعة والمرئية، فشُوهت صور الطبيعية الجمالية في الأنهار والحدائق والبراري بمخلفات البشر والنفايات، وتراكمت أكوام القمامة في الأفنية والحدائق والأسواق، وتزاحمت المعدات والإعلانات أمام البيوت وفي الشوارع، وتلاصقت البيوت وضاقت الطرقات، وظهر من أبناء المجتمع المنفرون بملابسهم الشاذة وسلوكياتهم المستهجنة وعباراتهم الفاحشة، واختلط بصوت الطيور والبلابل أصوات الورش والمصانع والآلات، واقتحم على الناس سكونَهم – في البيوت والمساجد وأماكن الراحة والدراسة وأوقاتها – أبواقُ السيارات وأصواتُ مكبرات الصوت ولعبُ المفرقعات ورناتُ الجوالات، وضجت الأسواق والأماكن العامة بالصخب والضجيج،

وتزاحمت على الأُذن الأصوات المرتفعة على اختلاف الأنواع والدرجات، واختلط فيها الحسن والقبيح من الكلمات، وكان لكل هذا الزخم من الملوثات المسموعة والمرئية آثاره الخطيرة على الإنسان في جوانب حياته المختلفة حتى طالت الأجنةَ في الأرحام، وأضحى الإنسان نفسه ضحية لما جنته يداه.

من هنا كانت أهمية البحث في هذا الموضوع والحاجة إلى دراسته في ضوء تخصص الثقافة الإسلامية. وذلك لما يلي:

١- الوقوف على حقيقة التلوث السمعي والبصري، وما تتعرض له حاستا السمع والبصر في البيئة المعاصرة من أذى وبيان خطورتها على الإنسان جسداً ونفساً وسلوكاً.

٢- عدم تطرق المعنيين إلى دراسة مثل هذا النوع من التلوث حيث حصر كثير من الباحثين مفهوم التلوث البيئي في التلوث الغذائي أو الهوائي أو المائي وآثاره.

٣- ندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع من منظور إسلامي في تخصص الثقافة الإسلامية.

٤- بيان عظمة الإسلام وسبقه في معالجة القضايا المجتمعية المستجدة والمستحدثة.

٥- العمل على تقديم تصور للمنهج الإسلامي في علاج التلوث السمعي والبصري.

الدراسات السابقة:

إن جلَّ الدراسات التي تناولت قضايا التلوث البيئي تناولتها من منظور اجتماعي أو قانوني أو طبي، والدراسات التي تناولت قضايا البيئة

من منظور إسلامي تناولتها بصورة عامة دون التعرض لأنواع التلوث لا سيما السمعي والبصري محل الدراسة، وقد وقف الباحث على دراسة لها صلة بجزئية من هذا الموضوع، وهي بعنوان: حماية السكينة العامة، دراسة مقارنة[1]، تلك الدراسة تناولت قوانين حماية السكينة بمعنى الهدوء من منظور القانون الوضعي والفقه الإسلامي، وجاءت في ثلاثة فصول: الأول بعنوان الضبط الإداري البيئي، الثاني بعنوان نطاق السكينة العامة، والثالث بعنوان حماية السكينة في النظم الوضعية والفقه الإسلامي.

ومن الواضح أن دراستي تختلف عن تلك الدراسة في الموضوع والحدود وطريقة التناول، وتلك الدراسة اعتمدت عليها في جانب من دراستي.

منهج البحث:

لقد اعتمدت في تلك الدراسة على المنهجين الوصفي والتحليلي، حيث قمت بداية بالوقوف على مظاهر وأشكال التلوث السمعي والبصري ووصفها من خلال الواقع، وكذلك الوقوف على أسبابها وآثارها، ثم تتبعت النصوص الشرعية وغيرها مما يتعلق بقضايا البحث في مصادرها الأصيلة وتحليلها لاسْتِنباط الأفكار والمبادئ والأحكام التي تخدم كل قضية، مع التزام الحيدة التامة، والتحليل الموضوعي، والأمانة العلمية، واستهداف الحقيقة.

(١) بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، ضيف الله بن رمضان بن صنيدح العنزي،١٤٢٣هـ – ١٤٢٤هـ، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

وأما عن حدود الدراسة:

فإن الدراسة تتركز زماناً: في المجتمعات المعاصرة حيث تنامت مظاهر التلوث السمعي والبصري، وموضوعاً: تتركز في الملوثات التي تقع تحت إدراك حاستي السمع والبصر وتأثيراتها على الإنسان بدناً ونفساً وسلوكاً، دون غيرها من أنواع التلوث الأخرى.

خطة الدراسة:

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وحدود الدراسة، والدراسات السابقة.

التمهيد: ويشتمل على التعريف بأهم مصطلحات العنوان.

المبحث الأول: التلوث السمعي والبصري المظاهر والأسباب والآثار.

المبحث الثاني: أسس ومنطلقات الإسلام في علاج التلوث السمعي والبصري.

المبحث الثالث: خطوات علاج التلوث السمعي في الإسلام.

المبحث الرابع: خطوات علاج التلوث البصري في الإسلام.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد:

أولاً: مفهوم التلوث:

١ـ التلوث لغة:

الجذر اللغوي للكلمة " لوث " وجذعها "تلوث"، وقد وردت مادة التلوث في معاجم اللغة بعدد من المعاني منها: الطيُّ. واللَّيُّ والشرُّ، والالتباس والتلطخ، يُقَالُ: لَاثَهُ فِي التُّرَابِ وَلَوَّثَهُ ويكون التلوث في الأمر إذا اختلط[١]، ومنها الالتِياث: بمعنى الاختلاط والالتفاف. يقال: الْتاثَتِ الخُطوبُ. والْتاثَ برأس القلم شَعَرَةٌ. ولوَّثَ ثيابَه بالطين، أي لطخَها. ولَوَّثَ الماءَ، أي كدَّرَهُ[٢]، وَالتَلَوُّثُ: التَّلُّطخ. يُقَالُ: لَاثَهُ في التراب، ولَوَّثَهُ[٣]، ومنه تلوَّث الماءُ والهواءُ ونحوُه: إذا خالطته موادُّ غريبة ضارّة، تلوَّثتِ الطَّبيعةُ: إذا وُضعت فيها أوساخٌ وقاذورات ونحوها، ومنه تلوث الأفكار: فساد القيم والمبادئ الأخلاقيَّة[٤].

---

(١) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على بن منظور، دار صادر – بيروت، ط٣/١٤١٤ هـ ج٢ص ١٨٥ – ١٨٧، العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ج٨ ص ٢٣٩.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤/ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، ج١ص ٢٩١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ج٤ص ٢٧٥.

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ج٣ص ٢٠٤٤.

مما سبق يتضح أن: لفظ التلوث في اللغة العربية يطلق على عدد من المعاني التي تدور حول اختلاط شيء بآخر من غير جنسه، وتكون في الأمور الحسية والمعنوية.

٢ـ التلوث في الاصطلاح:

تعددت التعريفات الاصطلاحية لكلمة التلوث بمفهومه العام، ومن تلك التعريفات:

التلوث:" التأثير السلبي على البيئة بما يغير من طبيعتها، أو خصائصها العامة، أو يؤدي إلى اختلال التوازن الطبيعي بين عناصرها، أو فقد الخصائص الجمالية أو البصرية لها، وله صور عدة منها التلوث الهوائي والتلوث المائي، وتلوث التربة، والتلوث الغذائي والتلوث الضوئي أو البصري، ويأتي في المقدمة التلوث السمعي أو الضوضائي " [(١)].

وعرّف القانون المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤م التلوث البيئي بأنه: أي تغيير في خواص البيئة مما قد يؤدي بطريق مباشر أو غير مباشر إلى الإضرار بالكائنات الحية أو المنشآت أو يؤثر على ممارسة الإنسان لحياته الطبيعية [(٢)].

وقد استخدم د. عبد الرحمن محمد عيسوي مصطلح التلوث في الجوانب المعنوية كالأخلاق والأفكار والقيم استناداً إلى مفهوم المصطلح

---

(١) المواجهة الجنائية لجرائم تلوث البيئة السمعي دراسة مقارنة، دكتور عبدالقادر الحسيني إبراهيم، مجلة الدراسات القانونية، العدد الثاني والخمسون يونيو٢٠٢١م، ص٢٨٠.

(٢) المواجهة الجنائية لجرائم تلوث البيئة السمعي دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص٢٨٠.

في اللغة الإنجليزية، حيث يشير المعنى إلى القذارة المعنوية أو النجاسة التي هي ضد الطهارة[1].

وعلى هذا يمكن القول بأن التلوث بصورة عامة: هو إفساد في البيئة نتيجة اختلاطها بما ليس منها، ينتج عنه تغيير أو تشويه في خصائصها الطبيعية والمجتمعية، ويؤثر سلباً على حياة الإنسان والأحياء في الجوانب المختلفة.

ثانياً: مفهوم التلوث السمعي والبصري: مصطلحات التلوث السمعي والتلوث البصري، وغيرهما من مثل التلوث الفكري والثقافي... من المصطلحات التي تم التعارف عليها واستخدامها حديثاً، وكلها – من خلال المفهوم اللغوي والاصطلاحي العام – تعني اختلاط الأمور حسنها وسيئها من المسموعات أو المرئيات أو غيرهما، وفيما يلي بيان لمعنى المصطلحين.

١. **مفهوم التلوث السمعي:** عُرِّف التلوث السمعي بأنه: "جميع مصادر الأصوات المرتفعة المزعجة والمقلقة للراحة، وغير المرغوب فيها، والتي تصل إلى سمع الإنسان وقد تسبب الكثير من الأضرار للجهاز السمعي والعصبي للإنسان. وقيل هو مجموعة من الأصوات التي تتداخل مع بعضها البعض، ومن ثم تؤدي إلى شيء من القلق وعدم الارتياح" [2].

---

(١) "تشير لفظة التلوث POLLUTION إلى معنى النجاسة، ويطلق مصطلح " SELF POLLUTION" عادة الاستمناء وهي عادة مذمومة يلوث فيها الإنسان نفسه ويخرجها عن طهارتها، ينظر: علم النفس البيئي، منشأة المعارف الإسكندرية١٩٩٧م ص١٧٥، بتصرف.

(٢) المواجهة الجنائية لجرائم تلوث البيئة السمعي دراسة مقارنة مرجع سابق ص١٩.

وأقصد بالتلوث السمعي : ما يصل إلى سمع الإنسان من أصوات وكلمات خارجة عن حدود المقبول، طاقة أو شرعاً، سواء كان الخروج كمَّاً، بالارتفاع فوق الطبيعي، أو نوعا بمحتوى الصوت ومضمونه من كلمات وألفاظ، مما يؤثر سلباً على الإنسان في جوانبه المختلفة.

٢. مفهوم التلوث البصري: عرِّف بأنه " تغير غير مرغوب فيه في عناصر البيئة المرئية يؤدى إلي الإخلال بتوازنها، وقيل: الإحساس بالنفور فور رؤية مناظر أو مظاهر غير جمالية أو منفرة في عناصر البيئة الطبيعية أو المعمارية تتعارض مع كل من البيئة الطبيعة والمناخية أو القيم الدينية والخلقية أو الحضارية أو القيم الجمالية أو المعمارية"[١].

وأقصد بالتلوث البصري: كل ما تقع عليه حاسة البصر من صور في البيئة الطبيعية أو السكنية أو الأشخاص مما يعرض البصر للأذى ويؤثر على الإنسان نفساً وبدناً وعقلاً.

ثالثاً: **مفهوم البيئة:** على الرغم من أن مصطلح البيئة لا يتضمنه عنوان البحث إلا أنه من المصطلحات التي سترد كثيرا في البحث؛ لذا كان من الضروري التعريف به.

وأصل البيئة في اللغة: الفعل بوأ: يقال بوأ المكان حلَّه وأقام به: بوأ القوم منزلاً إذا هيأه لهم أو أنزلهم فيه، ويقال: هو كلّ منزلٍ يَنْزِلُه القَوْم، والاسم بيئة[٢].

---

(١) التلوث البصري والنواحي الجمالية، جمعية المهندسين المصرية، وقائع المؤتمر السابع لكلية التربية- دور التربية الفنية في خدمة المجتمع العربي.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزَّبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون ت ط، ج١ص١٥٥، مختار الصحاح، زين

والبيئة في الاصطلاح: هي الوسط المكاني الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضم من عناصر حية وغير حية يتأثر بها ويؤثر فيها[١]، وهي: " كل ما تخبرنا به الحواس سواء كان هذا من خلق الله سبحانه دون تدخل الإنسان فيها(الظواهر الطبيعية) أو كانت من خلق الله وأحدث الإنسان في خصائصها وغير في معالمها (الظواهر البشرية)[٢].

وهذا هو المعنى الذي يعنيه الباحث عند استخدام مصطلح البيئة؛ حيث كل ما يحيط بالإنسان ويقع تحت حواسه من عناصر طبيعية أو سكنية أو بشرية.

مما سبق يمكن القول بأن المقصود من عنوان البحث: دراسة الصور السلبية المسموعة والمرئية في البيئة المعاصرة من حيث مظاهرها وأسبابها وآثارها وكيفية التعامل معها في ضوء تعاليم الإسلام وقاية وعلاجاً.

الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ص٤١.

(١) الإنسان وقضايا البيئة – د. ضاري العجمي ، د. عبدالمنعم مصطفى ط ١/ ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ص ٦.

(٢)البيئة والإنسان رؤية إسلامية – د. زين الدين عبدالمقصود ط دار البحوث العلمية – ط أولى – الكويت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص ١٣بتصرف.

المبحث الأول

التلوث السمعي والبصري

المظاهر والأسباب والآثار

المبحث الأول

التلوث السمعي والبصري المظاهر والأسباب والآثار.

السمع والبصر حاستان من أهم ما خلق الله في الإنسان من حواس، ومن أهم أدواته في التواصل مع عالمه الخارجي وبيئته المحيطة، ورد ذكرهما والجمع بينهما في القرآن الكريم في كثير من المواضع، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[(١)]، كما شرَّع الإسلام ما يحفظهما مادياً ومعنوياً من أحكام وتشريعات وآداب؛ وذلك لمكانتهما وأهميتهما للإنسان.

فالسمع يعد من أهم الحواس الإنسانية وأولها خَلْقَاً وعملاً[(٢)]، ولعل تلك هي الحكمة في تقديمه على البصر في القرآن الكريم – باستثناء الحديث عنهما في الآخرة– بل إن حاسة السمع تتميز عن باقي الحواس بأنها تعمل في جميع الأوقات والحالات والاتجاهات، حتى قيل: إن السمع حارس الإنسان الأمين، وهو فوق ذلك أهم منافذ العالم الخارجي إلى نفس الإنسان، وأهم وسائل التواصل بينه وبين بيئته المحيطة.

ولأن السمع يعمل دائماً دون وجود صمام أو وكاء – كباقي الحواس – فإن تأثره بما في البيئة الخارجية من مؤثرات إيجابية أو سلبية يكون

---

(١) سورة النحل الآية: ٧٨.

(٢) ثبت علمياً أن السمع يخلق فى الجنين قبل البصر وغيره من الحواس، كما يباشر عمله ولا يزال الطفل فى رحم الأم، ينظر: موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء، أطوار الخلق وحواس الإنسان د/أحمد شوقى إبراهيم، دار الفكر العربي، ط الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، جـ٢ صـ١١٧ .

أشد، إذ إن الأصوات الخارجية تنبعث إلى سمع الإنسان بتلقائية دون ضابط، سواء أكانت تلك الأصوات حسنة أم قبيحة، منخفضة أم مرتفعة حتى ولو كانت فوق طاقة الأذن وقدرتها.

والبصر الحاسة الثانية التي تربط الإنسان بالبيئة الخارجية والعالم المحيط به، فهي إحدى أدوات التلقي التي تمد الإنسان بكل ما يريد معرفته عن طبيعة ما حوله من صور وأشكال؛ حسنة كانت أم قبيحة؛ حيث تلتقط العين كل ما يقع أمامها من مرئيات، فترسله إلى المخ، والذي يقوم بدوره بترجمة تلك المرئيات وتحويلها إلى العقل أو القلب؛ لتصنيفها والتعامل معها بما يناسبها من ردود أفعال وسلوك، فإذا كانت تلك المرئيات حسنة تركت في النفس آثاراً إيجابية، وإن كانت قبيحة تركت آثاراً سلبية.

ومع أن للعين وكاء ويمكن إغلاقها عند الحاجة، إلا أن اختلاط الصور السيئة بالحسنة، ووجود المناظر القبيحة وسط مناظر الطبيعة الجميلة، ومزاحمة السلوكيات السلبية للسلوك الطيب، كل هذا وغيره جعل العين تقع رغماً عنها على ما يعرضها للأذى، ويؤثر على نفس الإنسان وحياته.

من هنا كان تأثر تلك الحاستين بما تقعان عليه من مسموعات أو مرئيات، وكان – في ذات الوقت – تأثيرهما على الإنسان نفساً وجسداً وسلوكاً، وفي هذا المبحث عرض لأهم الصور والمظاهر السلبية التي تدركها الأسماع والأبصار في البيئة المعاصرة وأهم أسبابها، ثم بيان لما لها من آثار سلبية على الإنسان في جوانب حياته المختلفة، وذلك كما يلي:

أولاً: مظاهر التلوث السمعي في المجتمعات المعاصرة:

إن وجود الملوثات السمعية قديم قدم النشاط الإنساني، فقد أشارت بعض الكتابات الأثرية الموجودة على الألواح الطينية في مدن " بابل" [١] و"سومر"[٢] ؛ أن الناس كانوا ينفرون من البلدة التي تعج بالضوضاء الصادرة من استخدام الآلات والأدوات اليدوية[٣]، وفي زماننا المعاصر تنامت تلك الملوثات وانتشرت مظاهرها في كل مكان، وفيما يلي توضيح ذلك:

أ. **مظاهر تتعلق بالأصوات[٤] ودرجتها: هناك مظاهر عدة تتعلق بدرجة الصوت** من أهمها:

١ – الأصوات العالية المنبعثة من وسائل النقل الحديثة على اختلافها وتنوعها؛ لا سيما البرِّية منها كالسيارات والقطارات بأصوات محركاتها، أو أبواقها التي تستخدم في كثير من الأحيان بصورة عشوائية تُفزع النائم، وتقلق اليقظان، أو الجوية والبحرية، وتلك تأثيراتها محدودة وقاصرة على الأماكن المتاخمة للمطارات والموانئ،

---

(١) بابل بكسر الباء: اسم مدينة قديمة قيل العراق، وقيل الكوفة، ينسب إليها السحر والخمر، وقد ذكر اسمها في القرآن الكريم، ويقال: إن أول من سكنها نوح، عليه السلام، وهو أول من عمرها، وكان قد نزلها بعقب الطوفان، معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت ط٢، ١٩٩٥ م، ج١ص ٣٠٩.

(٢) سومر أو سامراء: مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وقد خربت»، وقيل نسبة إلى سام بن نوح، معجم البلدان، ج٣ص١٧٣مرجع سابق.

(٣) ينظر: التلوث الضوضائي (الضجيج)، مهندس عبدالحفيظ أحمد العمري، مدونة عيون المعرفة ص٣.

(٤) جمع صوت. ويطلق على صوتُ الإنسان وَغَيْرِهِ، لسان العرب ج٢ص ٥٧.

ففي دراسة إحصائية تبين أنه من (٦٠ – ٧٠ %) من الضوضاء في المجتمعات الحديثة تنبعث من مرور السيارات والقطارات، بالإضافة إلى أن القطارات تصدر أصواتاً عالية التردد تصل إلى ذروتها على أذن السامع على بعد (١٠٠) قدم حيث تعادل (١٣٨ – ١٤٠ ديسيبل[١])[٢].

٢- الضوضاء[٣] المنبعثة من المصانع والورش وما تصدره من ضجيج الآلات والمعدات، أو أصوات العاملين المرتفعة، لا سيما تلك المنشئات التي توجد في الأوساط السكنية.

٣- الأصوات المرتفعة والصخب المنبعث من الأفراد في الطرقات، أو الأسواق والمحال التجارية، أو الأماكن العامة، أو الباعة الجائلين بالإعلان عن بضائعهم.

٤- أصوات المفرقعات الناتجة عن الأسلحة والألعاب النارية المستخدمة في الأفراح، وأماكن الترفيه وأيام الأعياد والمناسبات، بل تستخدم الأسلحة النارية لإطلاق الأعيرة الصوتية والحية – أحيانا- في الأفراح والاحتفالات كمظهر من مظاهر التعبير عن الفرح والسرور، واستخدام الألعاب النارية سواء من قبل الكبار أو الصغار صار من أشد مصادر الأذى السمعي في مجتمعاتنا حيث تقدمت صناعة تلك الوسائل وصارت تصدر أصواتاً عالية بصورة بالغة.

---

(١) الديسيبل أو الديسبل: وحدة قياس التفاوت في منسوب طاقتين، أو التفاوت بين شدّة صوتين، كعجم اللغة العربية المعاصر،ج١ص٧٩٤ .

(٢) ينظر: المواجهة الجنائية لجرائم تلوث البيئة السمعي، ص ٢٨٨ مرجع سابق.

(٣) الضَّوْضَاءُ: أَصْواتُ النَّاسِ وجَلَبَتُهُمْ، وَقِيلَ الأَصْوات المُخْتَلِطَة والجَلَبة، لسان العرب ج١٤ص ٤٨٨.

٥- استخدام مكبرات الصوت بصورة عشوائية غير معتدلة سواء في المناسبات، أو المحال التجارية، أو المؤسسات المختلفة، أو حتى في بعض المساجد للإعلان عن شيء ما، أو بث إذاعة القرآن الكريم لفترة طويلة قبل الصلاة خاصة قبل صلاة الفجر[١].

٦- الأصوات الصادرة عن الأجهزة الإلكترونية الصوتية المسموعة والمرئية؛ كالتلفزيون والراديو والكمبيوتر، وأجهزة العرض المختلفة المسموعة والمرئية؛ في البيوت، والمحال، ووسائل المواصلات، وفي أحيان كثيرة لا تقتصر أصوات تلك الأجهزة على المستخدمين لها في البيت أو المحال أو وسائل المواصلات، بل تتعداهم إلى غيرهم في المساكن المجاورة أو الطرقات، خاصة عندما يتم استخدام أجهزة رفع الصوت الحديثة وهي ما تعرف بالسماعات أو المكبرات [٢].

٧- رنات التليفون المحمول؛ فعلى الرغم من أن الأصوات المنبعثة من الهاتف المحمول ليست على درجة عالية من الارتفاع بالقدر الذي يتأذى منه الآخرون، غير أن التأذي بالأصوات المنبعثة من الجوالات لا يتمثل في ارتفاع الصوت عند الاتصال، ولكن في اقتحامها أماكن العبادة والراحة والنوم والعمل، وقطعها لراحة الإنسان وهدوئه وخشوعه وتركيزه.

---

(١) في بعض المساجد في القرى خاصة تصل المدة إلى ساعة قبل صلاة الفجر ولا تقل عن نصف ساعة .

(٢) فقد يقوم بعض الناس في البيوت أو المحال بتشغيل الأجهزة المسموعة أو المرئية لفترات طويلة بدرجة تسمع الجيران وتعرضهم للأذى، وليس من الضروري أن تصدر الأصوات المرتفعة عن أجهزة صوتية ، بل قد تكون أجهزة كهربائية أخرى ذات أصوات مرتفعة.

ب- مظاهر تتعلق بالألفاظ والمعاني وحسن الصوت:

إن الأذى السمعي لا يقتصر على الأصوات المرتفعة، ولكن هناك نوعاً آخر من الملوثات السمعية لا تقل ضرراً وخطراً عن النوع السابق، وهو التلوث المتعلق بالألفاظ والكلمات والمعاني، وهذا النوع تتنامى مظاهره وصوره في المجتمعات المعاصرة، كما أن له تأثيراته السلبية على كل أطياف المجتمع وفئاته، ومن أبرز نماذج وصور هذا النوع:

١- انتشار لغةً للتواصل بين أبناء المجتمعات المعاصرة من جيل الشاب ومَنْ دونهم حيث يستخدمون فيها ألفاظاً غريبة على اللغة العربية بل والعامية(١).

٢- انتشار الكلمات والعبارات الخارجة عن حدود الدين أو الأدب والذوق، وتكرارها بدون وعي وإدراك، وقد تكون خادشة للحياء، أو مصطلحات وعبارات غريبة ونابية، ومثل تلك العبارات تلاحق الإنسان في الكثير من الأماكن والأوساط.

٣- كثرة الأغاني الهابطة ذات الألفاظ البذيئة(٢) التي صارت تطرق الأسماع في وسائل المواصلات والطرقات والأماكن العامة، بل والبيوت من خلال وسائل الإعلام.

٤- سوء وشذوذ بعض الأصوات أثناء الإلقاء الخطابي، أو القراءة أو الأذان أو غير ذلك من فنون الإلقاء، مما يؤذي الأسماع ويُنفِّر النفوس، بل ويصد عن الاستماع لما يقوله القائل.

---

(١) فنجد الشباب يستخدمون مصطلحات مثل: يا اسطى – نفض – كبر – وكلمات لا نتمكن من كتابتها.

(٢) حيث صارت نسبة من الأغاني في المجتمعات المعاصرة تحتوي على ألفاظ خادشة تحض على الرذيلة، وتدعوا إلى الفاحشة، وكان من آخر تلك الأغنيات والتي انتشرت في كثير من الأماكن العامة وغيرها أغنية تروي قصة زنا المحارم وتبرره.

ثانياً: مظاهر التلوث البصري في البيئة المعاصرة:

أ. **مظاهر تتعلق بالعناصر الطبيعية في البيئة:**

١- تراكم المخلفات والملوثات على حواف الأنهار والترع ومجاري المياه، وعلى الجسور وفي البراري وأماكن التنزه والجلوس؛ سواء أكانت مخلفات بشرية، أو حيوانية، أو زراعية، وسواء أكانت مواد صلبة، أو حيوانات نافقة، أو فضلات منزلية، أو مخلفات بترولية في بعض البحار.

٢- تواجد السحب الدخانية في أجواء الأماكن والمدن الصناعية، والتي تنتج عن المصانع أو حرق المخلفات الزراعية، مما يؤدي إلى حجب أو تعذر رؤية الصورة الطبيعية للسماء بصفاء لونها وسحبها نهاراً، أو سطوع نجومها ليلاً.

٣- تزاحم الأشعة الضوئية المنبعثة ليلاً من مصابيح السيارات، أو أعمدة الإنارة، أو أماكن اللَّهو والترفيه مما يؤثر على الرؤية، ويحرم الإنسان الاستمتاع بجمال السماء وما فيها من نجوم.

٤- قلة المساحات الخضراء واستبدالها بأبنية عشوائية أو مساحات ميتة فراغية لا نفع منها سوى تجميع المخلفات، أو مرابض للحيوانات، وهو ما يعرف في المجتمعات المعاصرة بـ (التصحر أو التبوير)، وذلك بغرض تحويل الأرض الزراعية إلى بنائية لرفع سعرها.

ب. **مظاهر تتعلق بالبيئة السكنية المحيطة:** وأقصد بالبيئة السكنية ما يحيط بالإنسان من أماكن خاصة وعامة وطرقات وحدائق وغيرها، ومن تلك الصور السلبية:

١- رؤية المخلفات أمام أفنية البيوت وفي الحدائق والأماكن العامة بصورة تؤذي الناظرين وتضيق معها الصدور والنفوس.

٢- شَغل الطرقات أمام البيوت والمحال في القرى بآلات زراعية أو أسمدة وأتربة وحيوانات، وفي المدن بالبضائع والسيارات التي توضع بصورة عشوائية، ومخلفات الأبنية وغيرها، وليس من الضروري أن يكون وضع تلك الأشياء بسبب عدم وجود أماكن أخرى، ولكن استخدام تلك الأماكن وشغلها قد يكون بدافع وضع اليد والتملك، وأحياناً بدافع الكيد ومحاكاة الجيران.

٣- العشوائية في البناء والتنظيم العمراني، كضيق الطرقات وعدم مناسبتها لارتفاع المباني، وتلاحم المباني بصورة ملحوظة، وتشويه واجهات الأبنية والحوائط وعدم تناسقها.

٤- كثرة اللوحات الإعلانية في الطرقات وعلى البيوت بصورة تشغل المارة وتصرفهم عن الاستمتاع بالنظر إلى جمال الأماكن والمباني، أو حتى عن السير بصورة صحيحة، بالإضافة إلى احتواء بعض تلك الإعلانات على صور أو عبارات يتأذى منها ذوو الفطر السليمة.

٥- كثرة الحيوانات الضالة المؤذية كالكلاب، وتجمعها بصورة كثيفة حول القمامة وفي الطرقات.

ج. مظاهر تتعلق بسلوكيات الأفراد ومظهرهم الشخصي:

إن التلوث البصري لا يتوقف عند حدود الطبيعة أو البيئة المحيطة، بل يمتد الأمر إلى وجود خلل أو خروج عن حد الاعتدال في المظهر الشخصي لبعض الأشخاص أو سلوكياتهم، بما يتنافر مع الأدب والذوق ويخدش الحياء، ويعتدي على الفطرة، ومن ذلك:

١- مظهر بعض الشباب والفتيات الذين يرتدون ملابس ممزقة أو خارجة عن حدود الدين أو العرف أو الذوق والأدب، أو تتداخل مع ملابس الجنس الآخر باسم الموضة والرقي.

٢- ظهور البعض في الطرقات أو الأماكن العامة والمساجد وأماكن التجمعات والأسواق ووسائل المواصلات – وخارج نطاق عملهم أو مهنتهم[١] – بمظهر سيء وهيئة رثة، فهناك من يرتدي ملابس غير نظيفة ذات روائح كريهة، ويظهر في صورة سيئة منفرة.

٣- قيام البعض بسلوكيات شاذة في الطرقات أو الحدائق؛ كالتبول أو التغوط، أو البصاق.

٤- تخنث بعض الشباب في ملبسهم أو هيئتهم ومشيتهم، وترجل بعض النساء في ملبسهن وهيئتهن، أو تكشفهن بصورة سافرة تؤذي الآخرين بالنظر إليهن، وقيام البعض بإيماءات أو حركات وسلوكيات تتنافى مع الدين وتخدش الحياء.

ثالثاً: أسباب التلوث السمعي والبصري.

لقد تعددت الأسباب التي تعمل على إحداث التلوث السمعي والبصري في المجتمعات المعاصرة، ويمكن تقسيم تلك الأسباب من حيث مصدرها إلى ثلاثة أقسام كالتالي:

أ. **أسباب دينية:** وأقصد بها تلك الأسباب المتعلقة بفهم الإنسان الخاطئ لحقيقة دينه وتعاليم الإسلام- لا سيما – التي تتعلق بتعاملاته وعلاقاته مع البيئة الطبيعية بعناصرها والمجتمعية بما فيها ومَنْ فيها، ومدى التزامه بآداب الإسلام وسلوكياته المتعلقة بهذا الأمر، ومنها:

(١) هناك فئات من الناس تفرض عليهم أعمالهم الظهور وقت العمل بملابس معينة قد تظهرهم بصورة غير نظيفة وليس هؤلاء من أعنيهم هنا.

١ – **غياب الفهم الصحيح لحقيقة الدين خاصة فيما يتعلق بالبيئة والمجتمع:** فهناك فئة من الناس انحصر فهمهم للإسلام في كونه مجموعة من العقائد والأركان التي تنظم علاقة الإنسان بخالقه دون النظر إلى أي مخلوق في الكون، وحصروا العبادة في جملة من المناسك والطقوس التي تؤدَى لله في أماكن خاصة وأوقات معينة، فالدين في نظر هؤلاء جاء لينظم العلاقة بين الإنسان وربه، أما علاقته بِمَنْ وما حوله من مخلوقات – لا سيما البيئة والجمادات – فلا تدخل في اهتمامات الدين وتعاليمه، فلم يخطر ببال هؤلاء أن يكون في الإسلام نص مقدس يجعل الإحسان إلى البيئة من الإيمان، أو أن تعاليم الإسلام طالت كل الخلق من إنس وجن وحيوان وطير وجماد، ولقد كان لهذا الفهم القاصر أثره السلبي في تعامل أمثال هؤلاء مع البيئة المحيطة بنوعيها الطبيعي والسكني، وإحداث التلوث السمعي والبصري، إما بالإفساد فيها وتشويه صورتها وتلويثها، أو بسوء استخدامها كما هو الحال في الإسراف في استخدام الأجهزة الصوتية.

٢ – **ضعف الالتزام بتعاليم الإسلام وآدابه وسلوكياته:** وهناك فئة من الناس مع علمهم بحقيقة الدين وشمول تعاليمه إلا أنهم حصروا اهتماماتهم في جانب معين من الدين فأحيوا العبادة وأماتوا السلوك، وطالبوا بالحقوق وأهملوا الواجبات، فنجد هؤلاء يؤدون المناسك العبادية خير أداء لكن في سلوكياتهم البيئية والمجتمعية لا يلتزمون بتعاليم الإسلام وآدابه.

وإن غياب تلك الآداب والتعاليم من سلوكيات الناس سواء عن جهل أو إهمال وتجاهل يجعل التعامل داخل البيئة المجتمعية تعاملاً جافاً لا

تُراعى فيه المشاعر ولا العواطف والأحاسيس، ولا يوجد اعتبار للحس الجمالي، ويكون لهذا أثره السيء على البيئة فيقوم الإنسان بجهله وسلوكه السيء بتشويهها، وكذلك على المحيطين من أبناء المجتمع، حيث يسود الأذى المادي والمعنوي تعاملات الناس نتيجة الأنانية وعدم مراعاة مشاعر الآخرين، والإسراف والتبذير.

٣- **غياب تقوى الله ومراقبته من واقع التعاملات الحياتية:** وذلك من أهم الأسباب لحدوث الخلل والإفساد في البيئة والمجتمع، فمن لا يتقي ربه لن يتورع عن فعل شيء فيه إفساد في الحياة أو أذى للآخرين، طالما أنه لن يتعرض لمساءلة بشرية، فمراقبة الله وتقواه صمام الأمان لحفظ البيئة والمجتمع من إحداث تلوث أو خلل.

ب. **أسباب ثقافية وتنظيمية:**

إن لثقافة الإنسان دور مهم في التأصيل لسلوكياته وتعاملاته – على المستوى الفردي والجماعي – داخل البيئة المحيطة والمجتمع الذي يَحْيون فيه، فمعرفة الإنسان بحقيقة البيئة ودورها في حياته وثقافة الاستخدام، والشراكة المجتمعية بينه وبين من يعيشون معه، وحقوق الشركاء في المجتمع والحياة، والأدوار البيئية والمجتمعية، وما تشرعه الحكومات من قوانين حيال ذلك، كل هذا يؤثر على السلوك البيئي والمجتمعي للأفراد والجماعات بالإيجاب أو السلب، ومن نتائج غياب الثقافة الواعية في هذا الميدان:

١- **الاستخدام الخاطئ لوسائل التطور الصناعي والتكنولوجي** : فمع ما لحركة التطور السريع في مجتمعاتنا المعاصرة – في شتى المجالات – من فوائد عظيمة، إلا أن هذا التطور كان له ضريبته التي يدفعها

الإنسان بسبب سوء تنظيمه واستخدامه لتلك الحركة وتطوراتها، ومنها حرمان حاستي السمع والبصر من الاستمتاع بطبيعة الحياة والتعرض لكثير من الأذى، حيث أضحت مظاهر التقدم التكنولوجي والصناعي – حال سوء الاستخدام – عوامل إفساد للبيئة البصرية والسمعية المحيطة بالإنسان؛ فأصوات المصانع الحديثة وأدخنتها، والآلات المتقدمة المتاخمة للمناطق السكنية، والأجهزة المسموعة والمرئية على اختلافها وتنوعها ودرجات أصواتها والتي تتطور بشكل مستمر، بل وظهور الأجهزة المضخمة لها والتي أضحت من وسائل الرفاهية في البيوت والمحال والسيارات، وهي في ذاتها منغصات مزعجة لأهل البيت والجيران والمارة في الطرقات، وسوء استخدام أجهزة المحمول الحديثة بما تبثه من أصوات وكلمات، وارتفاع المباني وتلاصقها، وتزاحم الإعلانات الضوئية وغيرها في الشوارع، كل تلك المظاهر هي في ذاتها نوع من المشوشات التي حرمت حاستي السمع والبصر من الاستمتاع بالحياة.

٢- **الجهل أو عدم الالتزام بقوانين البيئة التي سنتها الحكومة:** لقد اهتمت المجتمعات المعاصرة اهتماماً بالغاً بأمر المحافظة على البيئة، وحمايتها من التلوث بكافة أنواعه، ومنها التلوث البصري والسمعي، والمتأمل في القانون المصري[١] يتضح له أن قانون البيئة بمواده

(١) ينظر: القوانين الصادرة عن رئاسة الجمهورية والمجالس التشريعية الخاصة بحماية البيئة ومنها: قانون رقم٤٨لسنة١٩٨٢م- قانون رقم ٤لسنة١٩٩٤م – قانون رقم٣٣٨لسنة١٩٩٥م الخاص بإصدار اللائحة التنفيذية لقانون البيئة رقم٤لسنة١٩٩٤م – قانون رقم ١٠٩٥لسنة٢٠١١م – قانون رقم ١٠٥لسنة ٢٠١٥م – قانون رقم ١٩٦٣م لسنة ٢٠١٧م.

وبنوده المختلفة تعمل على حماية البيئة وحفظ عناصرها من الإفساد، وكذلك حفظ الإنسان من كل ما يؤذيه داخل تلك البيئة، وذلك كله حال التزام الإنسان بتلك المواد والبنود وعدم مخالفتها أو الخروج عليها، ومع كثرة تلك القوانين – والتي جرَّمت الأذى الضوضائي[١] – وإلمامها بمشكلات البيئة وعلاجها إلا أن الجهل بتلك القوانين وأهميتها، وعدم الالتزام بها أو الخروج عليها هو ما جعل الحال يصل إلى ما عليه الآن في المجتمعات وهذا يرجع؛ إما إلى غياب الوعي الثقافي بأهمية الأمر وخطورته، وإما إلى التحايل على القوانين واختلاس السلوكيات الخاطئة، وذلك حال غياب الرقابة البشرية، أو الأمن من العقوبات الرادعة، وهذا ما يتضح فيما يلي.

٣– **غياب أو ضعف الرقابة البشرية والتهاون في معاقبة المخالفين:** فهناك فئة من الناس ضعف لديهم الوازع الإيماني – خاصة في أمور المعاملات والعلاقات – فلا يلتزمون بالآداب والسلوكيات فيما يتعلق بالبيئة المحيطة واستخدام الأضواء وأجهزة الأصوات وغيرها إلا عند وجود قوانين منظمة ورقابة مشرفة، وتلك شريحة ليست قليلة في المجتمع، وأمثال هؤلاء لا يلتزمون بالقوانين من تلقاء أنفسهم، ولكن لا بد ممن يراقب تنفيذ تلك القوانين واللوائح، إذ إن غياب الرقابة البشرية وعدم تطبيق العقوبات القانونية الرادعة على جميع المخالفين، أو تطبيقها بصورة جزئية، وإمكانية الإفلات منها، كل ذلك يشجع على عدم الالتزام بالقوانين، ويعطي فرصة لمن لا يخشون الله لفعل ما تمليه عليهم أهواؤهم من نشر للتلوث السمعي والبصري.

---

(١) ينظر: المواجهة الجنائية لجرائم تلوث البيئة السمعي، د.عبدالقادر الحسيني، ص٢٩٣، مرجع سابق.

٤- **العشوائية العمرانية:** وذلك بجعل المطارات أو المصانع مجاورة للأماكن السكنية، أو فتح الورش وغيرها من محال المهن المختلفة في الأوساط السكنية، أو ارتفاع المباني بصورة مبالغ فيها بما لا تتناسب مع الشوارع والطرقات، وعدم تخصيص مساحات خضراء داخل المناطق السكنية، تلك الأمور تعد من عوامل إحداث التلوث البصري في المجتمعات المعاصرة.

ج. **أسباب نفسية وشخصية:** وأقصد بها تلك الأسباب التي ترجع إلى الطبيعة النفسية للإنسان، ومدى حبه لمن حوله أو إيثاره لنفسه ومصلحته، وكذلك طبيعة حياته وما يغلب عيها من سمات عامة، ومن تلك الأسباب:

١- **تغليب المصلحة الشخصية وتقديمها على المصلحة العامة** سواء من الأفراد أو المؤسسات، وهو ما يعرف بـ(الأنا)، وذلك من أخطر الأسباب التي تؤدي إلى إحداث خرق في البيئة المجتمعية والإفساد فيها، ومن ثم حدوث التلوث السمعي والبصري؛ فمن يضع النفايات – على اختلاف أنواعها – في الأنهار ومجاري المياه، لا يهمه الشكل الجمالي للماء ولا الانتفاع الروحي لباقي أبناء المجتمع، بقدر ما يهمه مصلحته الشخصية في التخلص من نفاياته ولو في غير موضعها، وكذلك الحال فيمن يضع القمامة في الطرقات أو أمام البيوت، بل نجد البعض – خلسة – يضع القمامة أمام بيوت الآخرين أو أمام الأبنية والمصالح العامة، وكذلك الحال فيمن يقوم بإنشاء المصانع أو الورش داخل الكتل السكنية، ناهيك عمن يقوم بفتح الأجهزة

المسموعة والمرئية ومكبرات الصوت بصورة يتأذى منها الآخرون رغم أنها جُعلت للاستخدام الشخصي(١).

٢- **طغيان الجوانب المادية:** حيث خلت علاقة الإنسان بما ومَنْ حوله من الجوانب الروحية وصارت العلاقة قائمة على أساس المنفعة وإشباع الشهوات والرغبات، وهذا بدوره يجعل الإنسان يفعل ما تمليه عليه نفسه وما يشبع رغباته المادية من سلوكيات وتصرفات بغض النظر عما إذا كانت تلك التصرفات والسلوكيات ستعود على الآخرين بالأذى أم لا، فالإنسان الذي يشوه صورة النيل الجميلة بطرح المخلفات فيه لا يفكر سوى في تحقيق مصلحته بالتخلص من مخلفاته دون اعتبار للبعد الروحي وما يراعيه من حس جمالي أو نظافة للمياه، وكذلك الحال مع من يستخدمون مكبرات الصوت أو الأضواء بصورة مبالغ فيها في الأفراح أو المناسبات الأخرى، وكذلك – من باب أولى – المفرقعات وغيرها من وسائل اللهو والتعبير عن الفرح.

رابعًا: آثار التلوث السمعي على الإنسان:

مع أن السمع وظيفته الرئيسة استقبال الأصوات على اختلافها وتنوعها، إلا أن من تلك الأصوات ما يكون لها آثارها السلبية على الإنسان جسداً ونفساً وعقلاً وسلوكاً؛ وذلك حال خروج تلك الأصوات

(١) من الصور الغريبة والقضايا العجيبة في هذا المجال تقدم أصحاب منطقة سكنية بشكوى من صاحب محل تجاري يقوم بوضع مكبرات صوت – سماعات – أمام محله تقوم ببث الأغاني الماجنة وغيرها لتسمع سكان جميع المنطقة دون أن يسمعها من بداخل المحل حيث يضع أبواباً زجاجية للمحل تعزل الصوت، إزعاج سماعات المحلات في عين شمس الشرقية، شكاوى البيئة موقع شكاوى المواطنين https://shakawi.masreat.com/149662. تاريخ الزيارة١٦/٦/٢٠٢٢م-

بحدتها ودرجاتها وألفاظها عن حد الاعتدال وطاقة المستَقْبِل، هذا وتتنوع الآثار السلبية للتلوث السمعي بصوره المختلفة على الإنسان كما يلي:

أ. **آثار تتعلق بالجسد:**

إن للتلوث السمعي آثاره السلبية على صحة الإنسان الجسدية، ومن بين تلك الآثار ما يلي:

١- **إضعاف السمع أو فقده جزئياً أو كلياً:** فمع أن السمع وظيفته الرئيسة استقبال الأصوات، إلا أن أكثر ما يؤثر على تلك الحاسة من مؤثرات سلبية، وما يصيبها من أضرار هي الأصوات غير المعتدلة والضوضاء، فالإنسان عندما يتعرض لصوت عال شدته (٩٠ ديسيبل) لفترات قليلة فإن الجهاز السمعي يصاب بالإجهاد ومن ثم ضعف السماع لفترة محدودة ثم العودة إلى السماع بصورة حسنة مرة أخرى، فإذا طالت تلك الفترة، أو كانت بصورة مستمرة يومياً فإن الإنسان يصاب بضعف في السماع تدريجي ويكون مزمناً، وعندما يتعرض الإنسان لصوت عال ومفاجئ تتراوح شدته بين ١٢٠ – ١٥٠ديسيبل فإنه قد يفقد سمعه تماماً ويصاب بالصمم نتيجة تمزق طبلة الأذن وانكسار عظيمات القوقعة [١].

٢- **ضَعف الصحة العامة وأمراض القلب والجهاز الهضمي:** فمن الآثار السلبية للتعرض للضوضاء لفترات طويلة الإصابة بأمراض القلب، والسكتة القلبية ونزيف المخ والجلطات[٢] وكذلك أمراض الجهاز الهضمي، واختلال الغدة الدرقية وإفراز الهرمونات، كما يؤدى التعرض

(١) ينظر: حماية السكينة العامة، دراسة مقارنة، ص١٤٠ وما بعدها، مرجع سابق.
(٢) التلوث الضوضائي، مهندس عبدالحفيظ أحمد العمري، ص١٨.

للضوضاء إلى ضيق التنفس وارتفاع نسبة السكر في الدم[١]، كما أثبتت بعض الدراسات أن التعرض للضوضاء لفترات طويلة يؤثر على الرؤية البصرية للإنسان وانخفاض حدة الإبصار[٢].

٣- **الوفاة:** ثبت علمياً أن التعرض للأصوات التي تزيد قوتها على ١٥٠ ديسيبل قد يحدث الوفاة في الحال، حيث يؤدي إلى انفجار الرئتين وتوقف القلب مع التشنج والإغماء والوفاة السريعة[٣].

وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك الحقيقة وذلك في أكثر من موضع قال تعالى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [٤].

٤- **التأثير على الأجنة في بطون الأمهات:** لقد ثبت علمياً أن الأجنة في بطون الأمهات تتأثر – إيجاباً وسلباً – بالأصوات المحيطة، والأصوات الصاخبة تؤثر سلباً على الجنين إما بطريق مباشر عن طريق حاسة السمع لدى الجنين، وإما بطريق غير مباشر عن طريق تأثر الأم جسدياً ونفسياً وعصبياً، وهذا بدوره يؤثر على نمو الجنين، وجهازه العصبي، وقد يؤدي إلى الإجهاض بعد فترة، كما أن تعرض الأم الحامل للصوت العالي المفاجئ قد يُحدث الإجهاض مباشرة[٥].

---

(١) الإنسان ومشكلة التلوث بالضوضاء أحمد فؤاد باشا، مقال مجلة الأزهر، الجزء الثامن، السنة الخامسة والستون، شعبان ١٤١٣ – ١٩٩٣ ص١٢٠٧ وما بعدها.

(٢) تلوث البيئة مصادره وأنواعه، د. فهمي حسن أمين العلي، دراسة بمجلة العلوم والتنمية، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، العدد الرابع شوال ١٤٠٨هـ يونية ١٩٨٨م، ص٢٠وما بعدها.

(٣) التلوث الضوضائي، صلاح أمحمد مسعود، بحث منشور بمجلة كليات التربية، جامعة الزاوية لبيا، العدد السابع، مارس ٢٠١٧م ص١٧.

(٤) سورة هود آية: ٦٧.

(٥) ينظر: التلوث الضوضائي، ص٣ مرجع سابق، المواجهة الجنائية لجرائم تلوث البيئة السمعي ص٢٩١.

ب. آثار التلوث السمعي على الصحة النفسية والسلوك الاجتماعي:

لقد ثبت علمياً أن الضوضاء وارتفاع شدة الصوت عن المعدل الطبيعي يؤثر سلباً على المستوى النفسي والسلوك الاجتماعي للإنسان حيث يؤدي إلى:

١ – **القلق والتوتر وسوء الحالة المزاجية:** ثبت علمياً أن كثرة الضوضاء تصيب الإنسان بالقلق والتوتر والاكتئاب، والارتباك، والشعور بالضيق، والرهاب، بالإضافة إلى سوء الحالة المزاجية التي يعاني منها الكثيرون في المدن المكتظة بالسكان والأكثر ضوضاء.

٢ – **الإصابة بالأمراض النفسية والعصبية:** فالضوضاء وكثرة الأصوات المزعجة تعد أحد مسببات الأمراض النفسية والعصبية في العصر الحديث، أو عامل من عوامل سوء حال المرضى النفسيين والعصابيين وتفاقم حالاتهم(١).

٣ – **إصابة الأطفال بالقلاقل والاضطرابات:** فقد تبين أن الأطفال الأكثر تعرضاً للضوضاء هم الأكثر عرضة للإصابة بأعراض القلق والاكتئاب والقلاقل النفسية من غيرهم(٢).

٤ – **ضعف النشاط الإنتاجي والاقتصادي:** فقد ثبت أن الأشخاص الذين يعيشون في بيئات تكثر فيها الضوضاء والصخب والضجيج يكونون أقل كفاءة من غيرهم – ممن يعيشون في بيئات تتسم بالهدوء والسكينة – في

---

(١) تلوث البيئة مصادره وأنواعه، د عبدالحكيم بدران، ص١٢، حماية السكينة العامة، ص١٤٧، التلوث الضوضائي، ص18 مرجع سابق.

(٢) https://mawdoo3.com، تاريخ الزيارة ٢٠٢٢/٦/١٥م.

إنجاز الأعمال وأداء المهام والقيام بالنشاطات الاقتصادية، كما تكثر لديهم الأخطاء في العمل والحوادث [١].

٥- **السلوك الانفعالي والعدواني:** فقد ثبت أن الأشخاص الذين يتعرضون للضوضاء بنسب عالية يكونون أكثر عدوانية من غيرهم وأقل تسامحاً[٢]؛ وذلك إما بسبب التوترات العصبية والحالة النفسية والمزاجية التي تسببها الضوضاء مباشرة، أو بسبب تنغيص النوم المستمر والذي يؤثر على سلوك الإنسان ويجعله أكثر انفعالية وعدوانية.

ج. **تأثير التلوث السمعي على الجوانب الفكرية والثقافية:**

١- **في مجال الفكر والإبداع:** مما لا شك فيه أنه من الآثار السلبية للضوضاء التأثير السلبي على الإنتاج الفكري والإبداعي للإنسان، ويحدث هذا من طريقين:

أولهما: أن الضوضاء والأصوات العالية تقطع على الإنسان تركيزه، وتشوش على تفكيره بطريق مباشر، ومن ثم إضعاف مَلَكة الإبداع لدى المفكرين، وضعف الإنتاج العلمي، فقد ثبت علمياً أن كل ثانية يتعرض فيها الإنسان للضوضاء تقلل من التركيز لديه لمدة ثلاثين ثانية [٣].

ثانيهما: أن الضوضاء تقطع على أصحاب الفكر والباحثين راحتهم، وتنغص عليهم ساعات نومهم وأوقات استرخائهم، ومن ثم لا يتمكنون من مزاولة عملهم الفكري والبحثي بنشاط وكفاءة.

---

(١) ينظر: المواجهة الجنائية لجرائم تلوث البيئة السمعي، د عبدالقادر الحسيني إبراهيم، ص٢٩٠ تلوث البيئة مصادره وأنواعه ص٢٠ -٢١.

(٢) المرجع السابق ص٢٩١.

(٣) التلوث الضوضائي، عبدالحفيظ أحمد العمري، ص١٨ مرجع سابق، التلوث الضوضائي، أ صلاح أمحمد مسعود، ص١٦وما بعدها، مرجع سابق.

ومما يُذكر في هذا الميدان أن المدن الإغريقية والرومانية – قديماً – كانت تفرض أوامر صارمة بمنع إصدار الأصوات المزعجة ليلاً، وكانت السلطات تقوم بفرش الشوارع في أحياء الفلاسفة والعلماء بمواد تمتص أصوات حوافر الخيل خشية تأثير الضوضاء على تفكيرهم وإبداعهم، كما ثبت علمياً أن الأطفال الذين يعيشون في بيئات تعليمية مزدحمة تكثر فيها الضوضاء وتتزاحم الأصوات يكونون أقل تحصيلاً من غيرهم ممن يعيشون في البيئات التعليمية الهادئة(١).

٢- **في مجال الثقافة:** لم يقتصر التلوث السمعي على الضوضاء أو الأصوات المرتفعة والصاخبة، ولكن من ضمن مظاهر وأنواع التلوث السمعي في المجتمعات المعاصرة ظهور كلمات وعبارات شاذة وخارجة غريبة على اللغة العربية بل والعامية، وتتنافى مع الآداب الإسلامية والطبائع السليمة. والاستماع إلى مثل تلك الكلمات والعبارات له مردوده السلبي على أبناء المجتمع، وبخاصة مَنْ هم في سن صغيرة حيث تغزو مثل تلك العبارات والألفاظ فكرهم وثقافتهم، وتصبح جزءاً من لغتهم التي يتحدثون بها، كما هو الحال في واقعنا المعاش.

خامساً: آثار التلوث البصري على الإنسان:

إن للملوثات البصرية على اختلاف صورها ومظاهرها آثارها السلبية على الإنسان جسدياً ونفسياً وسلوكياً، مادياً ومعنوياً " فالبيئة البصرية تتكون في الدماغ من خلال دخول الصور والمشاهد المؤثرة إيجابياً أو

(١) ينظر: تلوث البيئة مصادره وأنواعه، د عبدالحكيم بدران ص١٢، التلوث الضوضائي، ص٣ مرجع سابق.

سلبياً عبر العينين إلى الدماغ، حيث تتكدس وتُختزن، وعندما تصل إلى الدماغ، تؤدي تلك الصور إلى تغييرات كيمائية وبالتالي إلى آثار جسيمة نفسية وجسدية وسلوكية، بخاصة أنها تصبح مُخَزَّنة في ذاكرته"[١]، **ومن أبرز تلك الآثار ما يلي:**

أ. على مستوى الجسد: هناك عدد من الآثار السلبية للملوثات البصرية على أعضاء الإنسان الجسدية، وفي مقدمتها البصر منها:

١- **قلة كفاءة البصر أو فقده:** حيث يتأثر الجهاز البصري بالتعرض للضوء الشديد أو المشوشات البصرية؛ فتقل كفاءته ويضعف، بل قد يفقد الإنسان بصره إذا كانت الأشعة الضوئية فوق طاقة العين، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأثر قبل العلم الحديث، كما في قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢].

٢- **إرهاق البصر:** فعندما تتداخل المرئيات وتكثر، ويختلط الحسن بالقبيح، هذا يعمل على تحفيز مقلة العين بصورة مفرطة وتوترها، والعمل بصورة سريعة لاستيعاب المعلومات البصرية المعروضة عليها، وهذا كله يصيب الجهاز البصري بالإجهاد.

٣- **التعرض للحوادث المرورية:** نتيجة التشتت البصري والانشغال بالإعلانات المرئية والتي صارت تتواجد بكثافة عالية في الشوارع والطرق السريعة[٣].

---

(١) التلوث البصري وآثاره الضارة بالإنسان، راندا عبد الحميد، دراسة على شبكة الإنترنت تاريخ الزيارة ٢٠٢٢/٧/٢٤م https://mqaall.com/research-visual-pollution-causes-solutions/ .

(٢) سورة البقرة آية:٢٠.

(٣) تأثير التلوث البصري على الإنسان، https://www.almrsal.com/post/885999، التلوث البصري وآثاره الضارة بالإنسان، راندا عبد الحميد، مرجع سابق.

ب- آثار التلوث البصري على الصحة النفسية والسلوك:

١- **الحرمان من الاستمتاع النفسي بجمال الطبيعة:** فإن من أكثر الآثار السلبية للتلوث البصري؛ حجب جمالية الطبيعية وحرمان الإنسان من الاستمتاع الروحي بها؛ فوجود ملوثات -مثلاً - في مجاري المياه الصافية بالإضافة إلى كونها تلوث الماء مادياً بالسموم والكائنات الضارة، فإنها تُعكر صفو الصورة الجميلة النقية للماء تلك التي تريح النفس، وكذلك الحال في باقي عناصر الطبيعة.

٢- **المعاناة من المشكلات النفسية مثل التوتر والضيق والعصبية الزائدة،** فقد أثبتت الدراسات أن الأماكن التي تنتشر فيها الفوضى وعدم التناسق والتنظيم يصاب معظم من يسكنونها بالتوتر والقلق، وعدم الراحة النفسية، إذ إن الحالة النفسية للإنسان ترتبط سلباً وإيجاباً بترتيب البيئة والمكان المحيط به [١].

٣- **السلوك السلبي:** فعملية الإدراك البصري هي إحدى المراحل التي تحكم سلوك الإنسان وتوجهه، ومشاهدة الصور السلبية واختلاط القبيح بالحسن يؤثر سلباً على السلوك.

ج- **آثار التلوث البصري على العمليات العقلية:** من أهم الآثار السلبية للتلوث تلك التي تتعلق بالعمليات العقلية من تفكير وإدراك وابتكار وابداع، ومن أهمها:

١- **إضعاف القدرة على التفكير والتركيز:** فقد ثبت أن وجود الملوثات البصرية في البيئة المحيطة من أضواء زائدة، أو العشوائية وعدم التنظيم

(١) كيف يؤثر التلوث البصري على الصحة النفسية للفرد، نورس كرزم، مجلة آفاق البيئة والتنمية، مجلة إلكترونية تصدر عن مركز العمل التنموي فلسطين، عدد١١٤بتاريخ ٢٠١٩/٥/١م، التلوث البصري وآثاره الضارة بالإنسان، راندا عبد الحميد، مرجع سابق.

والترتيب في البيئة المحيطة، والتداخل بين الأشياء وبعضها، أو تزاحم الإعلانات والأشياء المعروضة في كل مكان، كل هذا يعمل – بدوره – على تشتيت العقل والتشويش على عملية التفكير والإدراك(١).

٢- إرهاق العقل نتيجة ما يعانيه من كمِّ المُدْخَلات البصرية الهائلة وغير المنتظمة التي تصله عن طريق العين.

٣- ضعف القدرة على الإبداع والابتكار، إذ إن حرمان البصر من الاستمتاع بالطبيعة وصفائها يؤثر سلباً على الفكر، ويضعف ملكات العقل وقدرته على التفكير والابتكار(٢).

مما سبق يتضح أن:

١- التلوث السمعي والبصري من الظواهر البيئية والمجتمعية الواقعة في المجتمعات قديماً وحديثاً، والتي تظهر نتيجة النشاط البشري والمعاملات الحياتية.

٢- للتلوث السمعي والبصري مظاهرهما وصورهما المتنامية في المجتمعات المعاصرة نتيجة عدد من الأسباب والعوامل؛ منها ما يتعلق بالفهم الخاطئ لأمور الدين وضعف الالتزام بتعاليمه، ومنها ما يتعلق بالثقافة الخاطئة في التعامل مع التقدم الصناعي والتكنولوجي، والتعامل مع عناصر البيئة المختلفة، ومنها ما يرجع إلى نفس الإنسان وطبيعته.

٣- مظاهر التلوث السمعي منها ما يتعلق بالمخترعات الحديثة والآلات وما يصدر عنها من أصوات حادة ومرتفعة تقتحم سمع الإنسان

---

(١) المرجع السابق نفس الموضع.

(٢) مقال حول: التلوث البصري: أسبابه وعلاجه -https://mqaall.com/research-visual-pollution-causes-solutions، تاريخ الزيارة ٢٠٢٢/١/٢٠م .

وتقطع عليه سكونه، ومنها ما يتعلق بالإنسان نفسه وما يصدر عنه من أصوات عالية أو كلمات وألفاظ يختلط فيها القبيح بالحسن، والصوت الرديء بالنَّدِي.

٤- للتلوث البصري مظاهره وصوره المتعلقة بالبيئة الطبيعية أو السكنية وما يحدثه الإنسان فيها من تشويه، أو المتعلقة بالأشخاص وما يظهرونه من صور سلبية في هيئتهم وسلوكهم.

٥- للملوثات السمعية والبصرية آثارها الخطيرة على الإنسان جسداً وعقلاً ونفساً وسلوكاً.

المبحث الثاني

أسس ومنطلقات الإسلام

في علاج التلوث السمعي والبصري:

المبحث الثاني

أسس ومنطلقات الإسلام في علاج التلوث السمعي والبصري:

مما ينبغي الوقوف عليه – من خلال نصوص الإسلام وتعاليمه – لبناء المنهج الإسلامي في علاج التلوث السمعي والبصري وضع الأسس القوية، والمنطلقات الصحيحة والتي من خلالهما يمكن التعامل مع ظاهرتي التلوث السمعي والبصري وقاية وعلاجاً بصورة صحيحة، ومن أهم تلك الأسس والمنطلقات ما يلي:

أولاً: ترسيخ الفهم الصحيح لعلاقة الإنسان بالبيئة:

إن أول الأسس التي يُبنى عليها المنهج الإسلامي في علاج التلوث السمعي والبصري؛ فهم الإنسان للعلاقة التي تربطه بالبيئة المحيطة فهماً صحيحاً، إذ إن سلوك الإنسان وتعامله – سلباً وإيجاباً – مع البيئة بعناصرها المختلفة ينطلق من فهم الإنسان لعلاقته بتلك البيئة وتصوره لها، والتلوث السمعي والبصري ما هو إلا نتيجة سلوكيات سلبية قد تكون ناتجة – كما سبق بيانه – عن غياب الوعي الصحيح بالبيئة المحيطة والسلوك المناسب نحو عناصرها.

من هنا كان لابد من بيان التصور الإسلامي لعلاقة الإنسان بالبيئة ومدى ارتباطه بما فيها من عناصر، و ما يترتب على تلك العلاقة من آثار إيجابية في حفظ البيئة والإنسان من التلوث بأنواعه المختلفة ومنها السمعي والبصري، ومن روابط تلك العلاقة ما يلي:

١ – **الاشتراك في الخلق والعبودية:** فالإنسان والبيئة – بكل عناصرها – من مخلوقات الله التي تدين له بالربوبية والعبودية، وهذا المعنى يؤكده

رسولنا (ﷺ) في مخاطبته للأرض بقوله:(يا أرض رَبِّي وَرَبُّكِ اللَّهُ ...) [١]، وللهلال أيضا بقوله: (... رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ)[٢]، ففي هذا الخطاب النبوي دلالة واضحة على الشراكة بين الإنسان وما يحيط به من مخلوقات في الربوبية لله سبحانه.

ولا يقتصر التوافق بين الإنسان والبيئة على مجرد الاشتراك في الخلق، وإنما هناك الجانب الوظيفي حيث الاشتراك في الإدانة بالعبودية لله – سبحانه – فكل ما في البيئة من مكونات طبيعية وغير طبيعية يتوافق مع الإنسان في الخضوع لله بالعبودية والتقديس والتسبيح، قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [٣]،﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [٤].

إن فهم هذا المعنى والإيمان به يُحدث ارتباطاً عاطفياً بين الإنسان وغيره من المخلوقات والكائنات، ومن ثم فإنه يوجه سلوك الإنسان إلى التعامل مع البيئة بعناصرها المختلفة بصورة إيجابية محافظاً على طبيعتها

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبدالله بن عمر، ج٢ص ١٧٩، حديث رقم ١٣٩٨ ت: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، ، - صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق، ك: المناسك، ب: صفة الدعاء بالليل، ج٤ص١٥٢حديث رقم٢٥٧٢ المكتب الإسلامي بيروت - سنن أبي داود ت: شعَيب الأرنؤوط، أول كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا نزل المنزل، ج٤ص ٢٤٥حديث رقم٢٦٠٣ دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م..

(٢)مسند الإمام أحمد ، مسند أبي محمد طلحة بن عبيدالله ج٥ص ٤٠٢حديث رقم ٦١٦٢ - سنن أبي داود، أول كتاب الأدب، باب ما يقول إذارأى الهلال، ج٤ص ٢٤٥حديث رقم٢٦٠٣.

(٣) سورة مريم آية: ٩٣.

(٤) سورة الإسراء من آية :٤٤.

وجمالها؛ إذ كيف يعتدي الإنسان بالإفساد والتلوث على شريك له في الخلق والتكوين، وكيف يضع الأقذار والملوثات على شيء يسبح بحمد الله مثله سواءً بسواء، بل قد يغفل الإنسان وهو لا يغفل، وهذا في ذاته من عوامل الحفظ والوقاية من الملوثات البصرية.

٢ – **البيئة ميدان للنظر والتفكر والاهتداء فكيف يشوه الإنسانُ دليلَه على معرفة الله؟:**

فالبيئة الطبيعية بعناصرها المختلفة، فيما هي عليه من إبداع في الخلق وإتقان، وتسيير غاية في الإحكام والنظام، جعلها الخالق – سبحانه – ميداناً فسيحاً يجول فيه الإنسان بنظره، ويتأمل بفكره فيما خلق الله في كونه من آيات ودلالات شاهدة على وجود الخالق – سبحانه– وقدرته.

وقد وجه القرآن الكريم الإنسان إلى إعمال بصره فيما يحيط به في البيئة من مخلوقات وكائنات للتعرف على وجود الله تعالى ووحدانيته وقدرته، ومن ثم الإيمان به، والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾[1]، ومن ثم فإن تعامل الإنسان مع تلك البيئة وما بها من مخلوقات من هذا المنطلق يدفعه إلى المحافظة على عناصرها، دون إفساد أو تعكير وتلويث حتى تكون صورة واضحة صافية يمكن مطالعتها من قِبل كل إنسان بنظره وعقله وفكره؛ للاهتداء والاسترشاد إلى معرفة الله من خلال آياته ومن ثم زيادة الإيمان به.

(١) سورة يونس آية: ١٠١.

كما أن تشويه تلك الطبيعة بعناصرها فيه اعتداء على خلق الله، وما أبدعته يداه، وفيه تعطيل لإحدى الوظائف التي خلقت من أجلها، إذ إن تلك الملوثات تَصْرف الإنسان عن التفكر والتأمل ومن ثم استشعار العظمة الإلهية والقدرة الربانية، إذ كيف يستشعر إنسان تلك المعاني عندما ينظر إلى الماء العزب الصافي وقد اختلطت به المخلفات الزراعية والحيوانات النافقة، وإلى السماء الصافية وما بها من نجوم وقد حجبتها أدخنة المصانع وحرْق المحاصيل والأضواء المبالغ فيها، وكيف يستشعر الإنسان عظمة الله في سكون الليل وقد ضجَّ الليل بالصخب والأصوات والضجيج والضوضاء، فكيف يشوه الإنسان بيديه دلائل اهتدائه لخالقه.

٣- **التسخير والانتفاع:** إن من أهم ما يدفع الإنسان إلى حفظ البيئة من التلوث السمعي والبصري؛ تذكره أن تلك المخلوقات الطبيعية التي تحيط به إنما هي مسخرة للانتفاع بها، ومن ثم فإن تلويث تلك الطبيعة وما بها - بأي نوع من أنواع الملوثات - يؤثر على انتفاعه بها هو أو غيره هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن من تمام شكر الله على نعمة التسخير والانتفاع بتلك المسخرات البيئية المحافظة عليها وعلى ما بها من منافع مادية ومعنوية، وقد قرن القرآن الكريم بين شكر الله على نعمه وعدم الإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١).

(١) سورة الأعراف آية: ٧٤.

ثانياً: اهتمام الإسلام بالتربية الجمالية للمسلم:

الجمال قيمة من القيم الإسلامية، وخصيصة من خصائص خلق الله – عزَّ وجلَّ – ولقد حرص الإسلام على غرس تلك القيمة في نفوس أتباعه من خلال نصوصه وتعاليمه التي توجه إلى استشعار تلك القيمة في مخلوقات الله وإشباع الحس الجمالي للبصر والسمع من جانب، والحث على التجمل مظهراً وسلوكاً وصوتاً من جانب آخر، وهذا – بلا شك – يُعد من أهم عوامل حفظ البيئة الطبيعية والمجتمعية من التلوث البصري والسمعي بكل صوره.

فأما عن استشعار القيمة الجمالية واشباع الحس الجمالي في البيئة الطبيعية فهذا واضح في آيات القرآن الكريم، والتي كثيرا ما تلفت الأنظار إلى مظهر من مظاهر الجمال في عنصر من عناصر البيئة المحيطة، ومن ذلك قول الله – تعالى – عن الحكمة من خلق الإنعام: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴾ [١]، وقال في السماء: ﴿ وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [٢]، وقال تعالى في الأشجار والزروع: ﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ [٣] " أي صاحبة حسن ورونق يبتهج به النظار، وكل ما يسر منظره فهو بهجة "[٤].

وفي بيان القرآن الكريم أن الاستمتاع بالجمال غاية من خلق الأنعام، وتزيين السماء هدف من خلق النجوم فيها، وتحقيق البهجة للنفوس من فوائد خلق الحدائق والجنان – في هذا كله – دلالة على اعتبار قيمة الجمال الشكلي وفائدته في إسعاد النفوس وراحتها.

---

(١) سورة النحل من آية :٦ .

(٢) سورة الحجر من آية:١٦ .

(٣) سورة النمل من آية:٦٠ .

(٤) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دار الفكر – بيروت، ج٦ص ٣٦١.

ومن ثم فإن مراعاة الإنسان لهذا البعد واستشعار تلك المعاني يوجه سلوك الإنسان إلى المحافظة على البيئة والإبقاء على طبيعتها نقية صافية دون تلويث أو تعكير ليستمتع بتلك الصور الجمالية التي خلقها الله فيها هو ومن معه من أبناء بيئته المجتمعية؛ لعلمه أن أي تشويه أو تلويث يقوم به الإنسان يُفَوِّت على نفسه وعلى غيره من بني جنسه الاستمتاع والانتفاع بما في البيئة من صور جمالية، ولا شك أن التلوث البصري من أشد ما يشوه جمالية البيئة.

وأما فيما يتعلق بحَثِّ الإسلام على التجمل والأخذ بأسباب الجمال فإنه واضح جليٌ في نصوص الإسلام وتشريعاته، حيث لم يقتصر اهتمام الإسلام بالجمال على لفت الأنظار إلى ما في البيئة الطبيعية من صور جمالية أبدعها الخالق في أجمل صورة وأبهاها، ولكن الإسلام حثَّ على التجمل والتزين سواء في البيئة الخاصة من الطرقات والأفنية والأماكن العامة وغيرها، أو على مستوى المظهر والسلوك الشخصي، أو حتى على مستوى الصوت والكلام، والنصوص التي تحمل تلك المعاني كثيرة سيتم التعرض لها في حينها.

وهذا بدوره عامل مهم من عوامل الوقاية من وجود الملوثات البصرية والسمعية في البيئة المجتمعية لا سيما ما يتعلق منها بسلوكيات الأفراد البيئية والمجتمعية ومظهرهم الشخصي.

ثالثاً: الربط بين العقيدة وبين ما يحقق السلام السمعي والبصري من سلوك:

إن مما يسهم في تحقيق السلام السمعي والبصري من الملوثات والمؤذيات اهتمام الإسلام بكل ما يحقق هذا الأمر من خصال وسلوكيات، حيث ارتقت نصوص الإسلام ببعض السلوكيات البيئية والمجتمعية – التي

تقي وتعالج من وجود التلوث السمعي والبصري – إلى درجة عالية في الدين.

١ – فتارة تجعل نصوص السنة رفع الأذى عن الطريق من الإيمان – وهو سلوك علاجي للتلوث البصري: ففي حديث سيدنا أبي هريرة (ﷺ) أنه قال: قال رسول الله (ﷺ) :(الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ) [(١)]، وتلك خصلة لا ينتبه إليها كثير من الناس الذين يرون أنها عادة لا علاقة لها بالدين، ومع ذلك يجعلها الرسول (ﷺ) شعبة من شعب الإيمان؛ ذلك لأن هذا السلوك من أهم عوامل التغلب على التلوث البصري في البيئة الطبيعية والمجتمعية.

والمراد بالأذى في الحديث – كما ذكره الإمام النووي – الْمُسْتَقْذَرُ مِنْ غُبَارٍ وَتُرَابٍ وَقَذًى[(٢)] وَنَحْوِ ذَلِكَ، أو أقذار وجيفة وغيرها، وقيل المراد من الأذى ما من شأنه أن يؤذي، حصل به الإيذاء بالفعل أولا[(٣)].

فإذا أُخذ لفظ الأذى – في الحديث – على عمومه فإنه يحتمل كل ما يتعرض له الناس في البيئة المجتمعية المعاصرة من ملوثات بصرية – سبقت الإشارة إليها – وإذا كان الإمام النووي ذكر ما ذكر من تراب أو

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ك: الإيمان، ب: عدد شعب الإيمان، ج١ص٦٣حديث رقم ٣٥.

(٢) القَذَى جَمْعُ قَذَاة، وَهُوَ : مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ وَالْمَاءِ وَالشَّرَابِ مِنْ تُرَابٍ أَو تِبْنٍ أَوْ وَسَخٍ أَو غَيْرِ ذَلِكَ، ينظر لسان العرب، محمد بن منظور، ج١٥ص١٧٤.

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم، ج٢ص٦ ج١٣ ص٢٠٦، فتح المنعم، موسى شاهين لاشين، دار الشروق . ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ج١ص١٣٤.

قذى فتلك نماذج كانت شائعة في زمانه، ويقاس عليها كل ما يوجد في زماننا من صور وإيذاءات في الطرقات تقع عليها العين.

وإذا كان الإسلام جعل إماطة الأذى – بصوره المختلفة من الملوثات والمؤذيات –عن الطريق من الإيمان، فمن باب أولى فإن عدم وضع تلك الأشياء في الطرقات والمحافظة عليها وصيانتها من الإيمان أيضاً، ومن ثم فإن هذا التوجيه النبوي يُعد خطوة علاجية لما يقوم به البعض من تلويث بصري وسمعي، وتوجيه وقائي في ذات الوقت.

٢–وتارة أخرى تشير النصوص إلى أن وقاية الناس من الأذى باليد واللسان من أفضل خصال الإسلام – وهما مصدران من مصادر التلوث المرئي والمسموع –: ففي حديث سيدنا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي، يَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:(مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) ، وفي رواية سيدنا فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) : (وَالْمُسْلِم؟ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ. الحديث) [١]

ففي الحديث أن من تمام إسلام المرء سلامة الناس من أذى لسانه ويده، فهو سلام مع الناس جميعاً بسلوكياته وتصرفاته، بل إن هذا السلام يشمل كل الكائنات والمخلوقات إلا بحق الإسلام، قال الإمام الحسن البصرى: " الأبرار هم الذين لا يؤذون الذّر والنمل"[٢].

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أول مسند عبدالله بن عمرو، ج٦ص٢٩٢حديث رقم ٦٧٥٣، من مسند عبدالله بن عمرو ج٦ص ٤٩٣، حديث رقم ٧٠٨٤.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، مكتبة الرشد السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ج١ص ٦٢.

والملاحظ أن الحديث ذكر اللسان واليد لأن الأذى يكون بهما غالباً، فاليد أداة من أدوات التلوث البصري فهي التي تفسد وتخرب وتشوه وتطرح القاذورات والأذى في غير أماكنها، واللسان أداة من أدوات التلوث السمعي، برفع الصوت والكلام البذيء وغير ذلك.

وعليه فإذا كان الإسلام ذكر أن علاج الأذى والتلوث السمعي والبصري والوقاية منهما من مكملات الإيمان والإسلام، فيكون – على العكس من ذلك – تعريض الآخرين للأذى السمعي والبصري وإشاعة الملوثات في البيئة والمجتمع علامة على نقص الإيمان والإسلام.

رابعًا: التلوث السمعي والبصري ضرر نهى عنه الإسلام.

من المبادئ الإسلامية الأصيلة والقواعد الشرعية التي عمل الإسلام على إرسائها لتكون أساساً من أسس التعامل بين أبناء المجتمع المسلم؛ النهي عن إلحاق الضرر والأذى بالأخرين بأي صورة من الصور، أو أي نوع من أنواع الأذى المادي أو المعنوي على حد سواء، وهذا المبدأ يهدف إلى حفظ المجتمع المسلم بكل أفراده وجماعاته من كل أنواع الأذى وصنوفه ومن التعرض لأي نوع من الضرر.

وعمدة هذا المبدأ الإسلامي حديث سيدنا عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) :(قَضَى أَنْ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) [(١)]، وفي رواية: (مَنْ ضَارَّ ضَارَّ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْه)[(١)].

(١) سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - البابي الحلبي، ك: الأحكام، ب: من بنى في بيته ما يضر جاره، ج٢ص٧٨٤حديث رقم٢٣٤٠- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي، دار إحياء التراث العربي – مصر، ك: الأقضية، ب: القضاء في المرفق، ج٢ص٧٤٥حديث رقم١٤٢٩.

وخلاصة ما جاء في أقوال العلماء: أن الإسلام نهى عن إلحاق الأذى بالغير سواء مطلقاً أو على وجه المقابلة، وسواء كان هذا الأذى لتحقيق منفعة شخصية كمن يجعل في ملكه ما يتأذى منه الآخرون، أم كان الأذى لمجرد الأذى، وسواء أكان الأذى مادياً متصلاً بالجسد أو المال، أو معنوياً متصلاً بالنفس وما يتعلق بها من مشاعر وعاطفة، بل إن النهي عن الأذى قائم حتى لو كان على سبيل المزاح كمن يروع أخاه مازحاً، وفي الحديثين تشديد في النهي عن إلحاق الضرر والأذى بالغير ووعيد لمن يقوم بهذا الفعل بأن يكون الجزاء من جنس العمل، فمن شق على الناس شق الله عليه، ومن أضر بهم أضره الله [٢].

وانطلاقاً من هذا المبدأ الإسلامي وتأسيساً على القاعدة الشرعية " لا ضرر ولا ضرار" وما يتفرع عنها من قواعد فقهية فإن الفقهاء – رحمهم الله – قالوا بحرمة ومنع من يُحدث في بيته أو محله ما يضرُّ بالجيران أو المارة وإن كان في ذلك مصلحة له؛ فيُمنع الرجل – إن كانت داره مجاورة لدور – من أن يبني في داره تنوراً[٣] للخبز الدائم، أو الرحى[٤] للطحن

---

(١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخران، مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، ك: البر والصلة، ب: ما جاء في الخيانة والغش، ج٤ص٣٣٢، رقم ١٩٤٠.

(٢) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط١، ١٣٥٦، ج٦ص٤٣١حديث رقم ٩٨٩٩، المنتقى شرح الموطإ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد، مطبعة السعادة – مصر، ط١، ١٣٣٢هـ، ج٦ص٤٠- الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ت: سالم محمد عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ج٧ص١٩١.

(٣) التنور: نَوعٌ من الكَوانِين، وَفِي الصّحاح: التَّنُّورُ: الكانُونُ الَّذِي يُخْبَزُ فِيهِ، تاج العروس، ج١٠ص٢٩٤.

(٤) الرحى: حجر عظيم يستخدم للطحن، وتكتب بالياء وبالألف فيقال رحى ورحا، ينظر: لسان العرب، ج١٤ص٣١٢.

المستمر، أو مدقة للقصارين[١] أو الكمادين[٢]، أو مكاناً لتعليم الصبيان مع دوام صخبهم في أوقات الراحة، أو يجعل من داره مكاناً لتعليم الأنغام أو يتخذ فيها كرواناً للصياح أو حماماً، وليست العبرة من المنع هنا إحداث الأصوات المقلقة والتأثير على الأبنية فحسب ولكن أشاروا إلى ما يقع تحت البصر من أدخنة متصاعدة من الأفران، أو مخلفات الدواب وغيرها [٣].

يقول الإمام ابن فرحون المالكي[٤]: "وَيُمْنَعُ الرَّجُلُ مِنْ إحْدَاثِ إصْطَبْلٍ[٥] لِلدَّوَابِّ عِنْدَ بَابِ جَارِهِ بِسَبَبِ بَوْلِهَا وَرَبْلِهَا وَحَرَكَتِهَا لَيْلًا وَنَهَارًا وَمَنْعِهَا النَّاسَ مِنْ النَّوْمِ، وَكَذَلِكَ الطَّاحُونُ وَكِيرُ الْحَدَّادِ وَشَبَهُهُ " [٦].

---

(١) القصارين: من يقومون بتحوير الثياب وتبيضها حيث كانوا يقومون بدق الثياب بعود خشب العناب، ينظر: تاج العروس ج١٣ص ٤٣١.

(٢) الكمادين جمع كماد: اسم حرفة يطلق على من يقومون بصباغة الثياب، أصلها الفعل كمد أي تغير لونه، ينظر: لسان العرب ج٣ص٣٨١. القصارين: من يقومون بغسل الثياب وتبيضها حيث كانوا يقومون بدق الثياب بعود خشب العناب، ، ينظر: تاج العروس ج١٣ص ٤٣١.

(٣) فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد ابن الهمام، دار الفكر، ج٧ ص٣٦٢ - تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، عثمان بن علي بن محجن البارعي، المطبعة الكبرى الأميرية القاهرة، ط١، ١٣١٣ هـ، ج٤ ص١٩٦- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، دار الفكر،ج٣ ص٣٧٠- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ج٣ص٤٧٩- المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد، مكتبة القاهرة١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ج٤ص٣٨٨،ج٥ص٤٤٠.

(٤)الإمام العلامة الكامل برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم ابن العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري المالكي المتوفي سنة ٧٩٩هـ .

(٥) الإسطبل : حظيرة الخيل ، معرب . قال بن منظور : الأصطبل موقف الدابة وفي التهذيب . موقف الفرس ، شامية ، هو عربي وقيل معرب ، انظر في ذلك : ابن منظور : لسان العرب ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠٤هـ ج١١ .

(٦) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج٢ ص٣٥٣.

ومما لا شك فيه أن الملوثات السمعية والبصرية – في البيئة المعاصرة – بأنواعها وصورها المختلفة هي نوع من الأذى الذي يلحق الضرر بالإنسان في نفسه وبدنه، بل إنها أشد ضرراً مما ذكره الفقهاء من صورٍ للأذى في زمانهم.

فإن الورش الصناعية على اختلاف أنواعها أشد صوتاً وضرراً مما ذكره الفقهاء من الأصوات الصادرة عن الرحى والقصارين والكمادين، والأدخنة والأصوات المنبعثة من المصانع المتاخمة للمناطق السكنية في يومنا أشد أذى من تلك التي تصدر عن التنور أو غيره من محال أصحاب الحرف السابقة، وأبواق السيارات وأصوات الغناء المنبعثة من مكبرات الصوت في كل مكان – لا شك – أشد أذى من صوت الكروان والحمام وتعليم الأنغام.

وكذلك فإن أكوام القمامة والمخلفات الحيوانية والنباتية المتراكمة أمام البيوت في بعض المناطق وعلى حواف الأنهار والمياه، والأدخنة المنبعثة من المصانع في البيئة المعاصرة أشد أذى للبصر مما ذكره الفقهاء من اصطبلات أو أفران.

كما أن السلوكيات السلبية والصور المشينة التي تظهر من الإنسان في مظهره وتعاملاته مما تقع عليها الأبصار وتؤذي أصحاب الفطر السليمة هي نوع من الضرر المعنوي المنهي عنه قياساً على ما سبق، وما ينطبق على الضرر الذي ذكره الفقهاء قديماً – بصوره المختلفة – من عقوبات وأحكام ينطبق على ما هو موجود في مجتمعاتنا المعاصر من مظاهر وصور للتلوث.

خامساً: استشعار المسئولية العامة نحو شركاء البيئة والمجتمع:

الإنسان لا يعيش في البيئة بمفرده بل يشاركه آخرون؛ سواء من بني جنسه من البشر أو من الكائنات الأخرى على اختلاف أجناسها وأنواعها، والجميع ينعمون بخيراتها، كما يشقون جميعاً بما فيها من خلل واضطراب.

وهذا واضح في أمر التلوث عموما أو التلوث السمعي والبصري على وجه الخصوص، فمع أن من يقوم به حفنة من أبناء المجتمعات إلا أن الجميع يكتوون بلظى تلك الفِعال، وهذا ناتج عن عدم استشعار المسؤولية العامة نحو البيئة المحيطة وما بها من بشر ومخلوقات وكائنات.

والمتتبع لنصوص الإسلام وتعاليمه يتضح له أن الإسلام عمل من خلال تلك النصوص على تربية أتباعه على استشعار المسؤولية العامة سواء نحو البيئة الطبيعية والمجتمعية، أو نحو جيرانه في البيئة من بني البشر، فمسؤولية الإنسان في الإسلام غير قاصرة على حدود نفسه أو مَنْ يعول، بل إنها مسؤولية عامة وشاملة لكل ما يمكن أن يقوم به الإنسان، وما يُخول له القيام به، ومن النصوص التي تقرر تلك الحقيقة قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، فالخطاب في الآية للجميع بالنهي عن الإفساد في الأرض بعد وجودها صالحة للحياة، ومِنْ ثم فالمسؤولية مشتركة.

(١) سورة الأعراف آية: ٥٦.

ومن تلك النصوص التي تجسد المسؤولية البيئية والمجتمعية العامة: حديث سيدنا النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ (ﷺ): قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) : (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ، فَمَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ آذَوْهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا فَاسْتَقَيْنَا مِنْهُ وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، ...الحديث) [1].

فالحياة التي نعيش فيها والبيئة التي تحيط بنا كالسفينة وكل الخلق في الحياة ركبان عليها، وكما أن أي خرق في السفينة يُحدث غرقها كذلك فإن إحداث أي خلل أو إفساد في البيئة أو المجتمع يَهْلك به الجميع، وهذا هو الواقع في أزمة المناخ الآن فالعالم كله – وليس المجتمع فحسب – يعاني من تصرفات مجموعات من البشر قاموا بالتصرف السلبي في ممتلكاتهم، وظنوا أن لهم الحق في فعل ما يشاؤون طالما أن ذلك في ملكهم، وهكذا الحال في أمر التلوث السمعي أو البصري، فالإنسان الذي يقوم بفتح الأجهزة الصوتية في بيته هو في ملكه وحقه المشروع إلا أنه يؤذي من يجاوره، وهذا الذي يضع القمامة أمام بيته، أو النفايات في مجاري المياه أو غير ذلك كل هؤلاء وأولئك يظنون أن لهم الحق في فعل ما يشاؤون في ممتلكاتهم الخاصة أو العامة دون مراعاة لمن يشاركونهم البيئة والمجتمع؛ نتيجة عدم استشعار المسئولية.

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ك: الشركة، ب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ج٢ص ٨٨٢، حديث رقم ٢٤٩٣.

كما أن الإسلام يُحَمِّل جموع الناس مسؤولية نظافة الطرقات والمساجد والأماكن العامة بإزالة ما بها من أذى وقاذورات دون الالتفات إلى واضعها، أو انتظار من يقوم برفعها من المتخصصين كما في أحاديث النبي (ﷺ) التي تدعو إلى إماطة الأذى عن الطريق، وتجعل ذلك من الإيمان – كما سبق – أو دفن النخامة في المسجد، وغيرها من النصوص التي سَتَرِد في حينها، والتي تحث على التكافل والمسؤولية البيئية والمجتمعية المشتركة.

سادساً: تقوى الله ومراقبته وقاية للمجتمع من التلوث السمعي والبصري:

إن من أهم أسباب التلوث السمعي والبصري في المجتمعات فقدان الرقابة البشرية، وعدم الشعور بالمسئولية تجاه الآخرين وتجاه المجتمع ككل، فالإنسان الذي يضع الأذى في أماكن الناس لا يأبه بقانون بشري ولا بملاحظة الآخرين له، وخيرهم الذي يتلفت حوله ليتأكد من عدم رؤية أحد له؛ ولهذا فإن الإسلام ارتقى بالمسلم ليجعل سلوكه نحو بيئته منطلق من وجدانه ومراقبته لربه، وتلك هي الرقابة التي يربي الإسلام أتباعه عليها، وهي الرقابة الإلهية قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [(١)]، بل إن الإسلام بيَّن أن هناك مساءلة ومحاسبة عن كل شيء فلم يتوقف الأمر عند حد المراقبة والاطلاع فحسب، قال تعالى: ﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [(٢)].

(١) سورة الحديد آية: ٤.

(٢) سورة النحل من آية:٩٣.

ولقد جعل الإسلام تقوى الله ومراقبته أساساً من أهم أسس تعامل الإنسان مع الآخرين وعلاقته بما ومن حوله، كما جعلها الإسلام عامل إلزام والتزام بما شرَّع من تشريعات وأحكام في هذا الميدان، ولا أدل على ذلك من أن أكثر المَوَاطن التي حث فيها الإسلام على تقوى الله هي مواطن للحديث عن المعاملات والعلاقات.

ومن ثم فإن المسلم الذي يتقي ربه، ويتخذ منه رقيباً عليه في كل سلوكياته وتصرفاته، ويستشعر المساءلة أمامه يوم القيامة لن يفسد في البيئة المحيطة والمجتمع بأي نوع من أنواع الإفساد، فلن يشوه وجه الطبيعة الجميل الذي خلقه الله فأحسن خلقه، ولن يؤذي أحداً ممن يعيش معه في المجتمع بأي نوع من أنواع الأذى المسموع أو المرئي، بل سيحرص كل الحرص على رفع أي شيء يؤذي الآخرين لا لشيء سوى الخوف من الله ومراقبته، وطمعاً في ثوابه.

ولو أن كل إنسان انطلق في تعامله مع من وما حوله من منطلق تقوى الله والخوف من المساءلة لقام بدوره في الحياة على أعلى درجة من الإحسان، لعلمه أن الله يراه ومحاسبه، ومن ثم لن تكون هناك ملوثات ولا إيذاءات من أي نوع من الأنواع.

المبحث الثالث

خطوات علاج التلوث السمعي

في ضوء تعاليم الإسلام

المبحث الثالث

خطوات علاج التلوث السمعي في ضوء تعاليم الإسلام.

بالنظر في تعاليم الإسلام ونصوصه يمكن استنباط عدد من الخطوات المهمة التي تسهم بنصيب كبير في حفظ البيئة من الملوثات السمعية، وتحقيق السكن المجتمعي، ومن تلك الخطوات:

أولاً: التأكيد على حاجة الإنسان إلى السكينة والعمل على تحقيقها:

إن حاجة الإنسان إلى السكينة والهدوء كحاجته إلى الطعام والشراب، فالإنسان يحتاج إلى السكينة والهدوء ليخلد إلى النوم والراحة، وإلا تعرض لمضاعفات قد تصل به إلى الموت، كما أنه يحتاج إلى الهدوء لإنجاز بعض الأعمال التي تحتاج إلى تركيز، وكذلك لأداء العبادات، وليس معنى هذا أن الإنسان لا يحتاج إلى هدوء وسكينة في باقي الأوقات، فقد ثبت فيما سبق أن تعرض الإنسان للضوضاء لفترات طويلة يكون له آثاره السلبية على نفسه وجسده.

وهنا تظهر حكمة الجليل – سبحانه وتعالى – في تقسيم الزمن إلى قسمين: قسم للراحة والسكن وهو الليل، وجعله الله مهيئاً لذلك؛ حيث الظلمة والهدوء، وتوقف النشاط الإنساني، وقسم للعمل والسعي والنشاط هيأه الله لذلك حيث الضوء والدفء والقدرة على مزاولة النشاط والحركة.

فإذا كان الله – عز وجل – جعل السكون والهدوء ليلاً من سننه الكونية، فإن إشاعة الضوضاء والصخب والضجيج وقطع الهدوء والسكينة على الناس بما يؤذي سمعهم من أصوات فيه اعتداء على سنة كونية من سنن الله وتفويت لمصالح العباد.

من هنا جاءت تعاليم الإسلام لتحقق للإنسان ما يحتاجه من السكينة والهدوء داخل بيئته لا سيما في تلك الأوقات التي يحتاج فيها إلى الراحة والنوم بالليل، فبيَّن القرآن الكريم أن الليل محل للسكن والهدوء، وذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم قال تعالى:﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا ﴾ [1]،﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا ﴾ [2]، ولن يتحقق هذا السكن إلا إذا خلا الليل من الملوثات السمعية من ضوضاء وصخب وغيرهما، إذ كيف يكون الليل ظرفاً للسكن كما أخبر القرآن الكريم وتتخلله تلك الملوثات السمعية التي تقطع على الإنسان راحته، وتقلق نومه.

ومن الآداب والتوجيهات النبوية التي تعمل على تحقيق ذلك حديث سيدنا أَبِي بَرْزَةَ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا)[3]، وحديث أمنا السيدة عائشة – رضي الله عنها – قالت : مَا نَامَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَلَا سَمَرَ بَعْدَهَا، وفي رواية عبد الله بن مسعود قال : (جَدَبَ[4] لَنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) السَّمَرَ بَعْدَ الْعِشَاءِ)[5]،

---

(١) سورة الأنعام من الآية: ٩٦ .

(٢) سورة غافر آية : ٦١ .

(٣) صحيح البخاري، ك: مواقيت الصلاة، ب: ما يكره من النوم قبل العشاء،ج١ص٢٠٨حديث رقم ٥٤٣.

(٤) "الجَدْبُ: العيب" والمراد هنا: عاب رسول الله. انظر: مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر ص١١٩، تحقيق: محمود خاطر، دط، مكتبة لبنان ناشرون: بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

(٥) سنن ابن ماجه، ك: الصلاة، ب: النهي عن النوم قبل صلاة العشاء والحديث بعدها، ج١ص٤٤٨حديث رقم ٧٠٢، مرجع سابق .

وفي رواية الإمام أحمد: (يجْدِبُ لنا السَّمَر بعد العِشاء) [١]، والحديث والسمر المنهي عنه أو المكروه بعد العشاء هو الحديث والسمر الذي لا مصلحة فيه ولا فائدة من ورائه، فالكراهة – كما ذكر شراح الحديث – مخصوصة بما إذا لم يكن في أمر مطلوب، وقيل هي مطلقة في كل الحديث[٢].

ومن التوجيهات النبوية التي تسعى إلى تحقيق هذا الهدف حديث سيدنا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (ﷺ): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (إِيَّاكُمْ وَالسَّمَرَ بَعْدَ هُدُوءِ اللَّيْلِ،...) [٣].

تلك التوجيهات النبوية وغيرها تُوحي بمدى حرص الإسلام على المحافظة على صفة الليل من الهدوء والسكون لتحقيق الراحة للإنسان، فإذا كان رسول الله (ﷺ) كره الحديث بين المسلمين بعد العشاء فيما لا طائل منه؛ حرصاً على تحقيق السكن والهدوء، فما بالنا يتخلل سكون الليل ويقتحم هدوءه ويقطع على الناس نومهم وراحتهم من ملوثات سمعية جعلت من الليل ميداناً للصخب والغناء، والأصوات المرتفعة، وأبواق السيارات، ومكبرات الصوت في الأفراح والأتراح والمناسبات!

ثانياً: الحث على الاعتدال في درجة الصوت ونداوته، والنهي عن الإسراف في الكلام:

الصوت عموماً سواء صدر عن آلة أو إنسان هو أداة من أدوات

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبدالله بن مسعود،ج٣ص٥٤٥ حديث رقم٣٦٨٥.

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩م، ج٢ص٧٣، شرح النووي على مسلم، ج٥ص١٤٦، مرجع سابق.

(٣) الأدب المفرد مخرجاً، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط٣، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م،باب غلق الباب بالليل، ج١ ص٤٢٢، حديث رقم ١٢٣٠.

التلوث السمعي، ويختلف تأثيره السلبي باختلاف درجته ومعدل ارتفاعه، ولا يقتصر التلوث السمعي على درجة الصوت، بل إن طول الحديث وخروجه عن معدله الطبيعي فيه إثقال على السمع وإيذاء للنفس بكثرة الكلمات وإن كان الصوت معتدلاً.

والمتأمل في نصوص التشريع الإسلامي يتضح له أن الإسلام اهتم بالأصوات الصادرة من الإنسان من حيث درجة الصوت واعتداله لما له من آثار سلبية على البدن والنفس، وكذلك اهتم بحسن الصوت ونداوته لما له من آثار على النفس، كما اهتم بالاعتدال في الحديث وعدم الإسراف، ويتضح هذا مما يلي:

أ- **فأما عن درجة الصوت أو معدل ارتفاعه:**

١-فإن الإسلام يوجه إلى الاعتدال في الصوت وعدم رفعه إلا في المواطن التي تتطلب ذلك؛

قال الله تعالى:﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ (١)، " وَالْغَضُّ: نَقْصُ قُوَّةِ اسْتِعْمَالِ الشَّيْءِ ... وغَضُّ الصَّوْتِ: جَعْلُهُ دُونَ الْجَهْرِ. وَجِيءَ بِـ مِنْ الدَّالَّةِ عَلَى التَّبْعِيضِ لِإِفَادَةِ أَنَّهُ يَغُضُّ بَعْضَهُ، أَيْ بَعْضَ جَهْرِهِ، أَيْ يَنْقُصُ مِنْ جُهُورَتِهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَبْلُغُ بِهِ إِلَى التَّخَافُتِ وَالسِّرَارِ، فلا يرفعه إلا إذا استدعى الأمر رفعه، ولا يتكلف فيه(٢).

ومن حِكَم غض الصوت - كما ذكر المفسرون - عدم إيذاء السامع" إذ إِنَّ الْجَهْرَ بِأَكْثَرَ مِنَ الْحَاجَةِ يُؤْذِي السَّامِعَ، كما أن غضَّ

(١) سورة لقمان من آية: ١٩. طق طق

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م، ج٢١ص ١٦٨.

الصوتِ أَوْقرُ للمتكلم وأبسطُ لنفس السامع وفهمِه، وفيه أدب وثقة بالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث واستقامته، بالإضافة إلى ما في رفع الصوت من قبح ينكره الناس [١].

ومما يدلل على هذا المعنى ويؤكد على أهميته الأمر بالاعتدال في الصوت حتى مع أداء العبادة، كما في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [٢].

٢- ٢. شدد القرآن الكريم في أمرِ من يرفع صوته لغير حاجة: فأنكر عليه في الآية وشبه صوته بصوت الحمير، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾، " وفيها تعليل للأمر بخفض الصوت، وللنهى عن رفعه بدون موجب؛ أي: إن أقبح الأصوات وأبشعها لهو صوت الحمير، فالجملة الكريمة حض على غض الصوت بأبلغ وجه، حيث شبه- سبحانه- الرافعين لأصواتهم في غير حاجة إلى ذلك، بأصوات الحمير التي هي مثار السخرية مع النفور منها"[٣].

وفي الحكمة من اختصاص صوت الحمير ذكر المفسرون: إن الحيوانات الأخرى تصيح وترفع أصواتها لثقل الأحمال كالبعير وغيره، أما الحمار فلو مات تحت الحمل ما رفع صوته، ولكنه يرفع صوته لغير

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ - ١٤١٨ هـ، ج٤ص ٣٢٢.

(٢) سورة الإسراء آية:١١٠ .

(٣) التفسير الوسيط ، د.محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر– القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ج١١ص ١٢٣.

حاجة[1]، ومن ثم فإن رفع الصوت المنهي عنه هو ما كان لغير حاجة.

وفي إطار التحذير من رفع الصوت والصخب أشارت النصوص إلى أن الصخب والصياح من صفات المنافقين كما جاء في حديث سيدنا أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) : وفيه (إن للمنافقين علامات يعرفون بها ...- ومنها - خشب بالليل صخب بالنهار) [2].

ب-وأما عن اهتمام الإسلام بحسن الصوت ونداوته: فيظهر في كثير من نصوص الإسلام منها حديث سيدنا عبدالله بن زيد المتعلق بالآذان وفيه قول الرسول (ﷺ) لزيد وقد رأى رؤيا الآذان:

(...فقُم مع بلالٍ فألقِ عليه ما رأيتَ فليؤَذِّنْ به، فإنّه أندى صوتاً منك") [3].

فقد كان الأولى برفع الآذان من رآه وأخبر به رسولَ الله (ﷺ)، وهو سيدنا عبدالله بن زيد، غير أن النبي (ﷺ) أمره بأن يعلمه بلال لنداوة صوته، وفي هذا دلالة على اهتمام الإسلام بتحسين الصوت؛ لما فيه من أثر طيب على النفس، ولما في عكس ذلك من فظاظة الصوت وغلظته وشذوذه من آثار سلبية على النفس ونفورها، وهذا ما يحدث في مجتمعاتنا المعاصرة عندما يتعرض للأذان أو للصلاة إنسان سيئ الصوت، ومما ورد في ذلك - أيضاً - حديث سيدنا أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ) قَالَ: قَالَ

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ، ج٢٥ص ١٢٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده وحسّنه أحمد شاكر، مسند الإمام أحمد، ابتداء مسند أبي هريرة، ج٨ص٣٦، حديث رقم ٧٩١٣.

(٣)سنن ابن ماجة، ك: الأذان، ب: بدء الأذان، ج١ص٢٣٢حديث رقم٧٠٦، سنن أبي داود، ك: الصلاة، ب: كيف الآذان، ج١ص١٨٧حديث رقم٤٩٩.

رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (لَيْسَ منَّا مَنْ لَمْ يتغنَّ بالقرآن) [١]، والمقصود " تَحْسِين الصَّوْت بِهِ"[٢].

ج- النهي عن الإسراف في الكلام، فقد حذر الإسلام من الثرثرة وكثرة الكلام، حيث إن الثرثرة وكثرة الكلام من أنواع الأذى السمعي، فهي تمثل عبئاً على أذن السامع ونفسه، وتشويشاً لفكره، وهذا النوع من الأذى عالجه رسول الله (ﷺ) بالنهي عن الإسراف في الكلام والثرثرة به، حيث ذمَّ رسول الله (ﷺ) الثرثارين، ففي حديث سيدنا أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: (شِرَارُ أُمَّتِي الثَّرْثَارُونَ.. الحديث) [٣]، وفي رواية عن أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) : (... وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِئُكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرْثَارُونَ، .... الحديث) [٤]، قيل: " هُم الَّذِينَ يُكْثِرون الْكَلَامَ تَكَلُّفاً وَخُرُوجًا عَنِ الحقِّ. والثَّرْثَرَة: كَثْرَة الْكَلَامِ وتَرْدِيدُه"[٥].

(١) صحيح البخاري، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى "وأسروا بالقول أو اجهروا به" ج٦ص ٢٧٣٧، حديث رقم٧٠٨٩.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي ت: علي حسين البواب،
دار الوطن – الرياض، ج٣ص٣٦٨.

(٣) رواه الإمام البخاري وصححه الألباني، الأدب المفرد مخرجا، ج١ص٤٤٣حديث رقم ١٣٠٨.

(٤) أخرجه الإمام أحمد وحسنه شعيب الأرناؤوط، مسند أحمد ط الرسالة ج٢٩ص ٢٦٧، حديث رقم ١٧٧٣٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ج١ص ٢٠٩.

مما سبق يتضح:

١- أن القرآن الكريم أمر بخفض الصوت والاعتدال فيه، وفي هذا حفظ للبيئة من إحدى عوامل ومصادر التلوث السمعي.

٢- أن الأصوات لا تُذم لذاتها فهي من خلق الله، وإنما العلة في ذم الأصوات ونكرانها إما لخروجها عن حد الاعتدال، أو لارتفاعها في غير نفع، وإلا فهناك أصوات عالية غير أصوات الحمير لم تُنكر.

٣- أن الأذى الصوتي من أشد أنواع الأذى على الإنسان والدلالة على ذلك أن الله – تعالى – ذكر مع رفع الصوت مالم يذكره مع سرعة المشي من الإنكار والتقبيح، وذلك – كما ذكر المفسرون – لأن " رفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصِّمَاخ بقوته، وربما يخرقُ الغِشَاء الذي داخل الأذن، وأما سرعة المشيء فلا تؤذي وإن أذت فلا يؤذي غير من في طريقه، والصوت يبلغ من على اليمين وعلى اليسار، ولأن اللمس يؤذي آلة اللمس، والصوت يؤذي آلة السمع، وآلة السمع على باب القلب فإن الكلامَ ينتقلُ من السمع إلى القلب، ولا كذلك اللمس، وأيضاً فلأن قبيحَ القول أقبح من قبيح الفعل وحسنه أحسن؛ لأن اللسان تَرْجُمانُ القلب" (١).

٤- يقاس على ما سبق ذكره من معان في الآيات كل صوت يخرج عن حد الاعتدال فيما لا فائدة منه ولا نفع؛ كرفع الأصوات في الميادين والطرقات والصياح لغير حاجة، واستخدام أبواق السيارات دون الحاجة، ورفع أصوات الأجهزة الصوتية لتتجاوز مدى الاستماع الفردي لتصل إلى المحيطين والمجاورين في البيوت والطرقات وأماكن العمل وغيرها.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي النعماني، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م، ج١٥ص ٤٥١.

٥- اهتمام الإسلام بجمال الصوت وحسنه، وفي هذا وقاية من بعض صور الأذى السمعي.

ثالثاً: الحرص على تخلية أماكن اجتماع الناس من الضوضاء والصخب:

إن من سبل الإسلام في الوقاية من التلوث السمعي الحرص على حفظ السكينة في الأماكن العامة التي من الممكن أن يتواجد فيها الناس غالباً وبصورة جماعية، والعمل على خلوها من كل ما يؤذي من صوت مرتفع أو كلام خارج، ويظهر هذا في توجيه الرسول ﷺ صحابته – والمسلمين من بعدهم – على التزام الهدوء والسكينة في كل مكان ومناسبة، بالسؤال والإجابة أو بالإشارة والتوجيه أو بالأمر أو بالقدوة، وفي ميادين العبادة والذكر، أو الطرقات أو حتى الأسواق، ويتضح هذا من خلال ما يلي:

أ- **ففي المسجد** وهو مكان العبادة والطاعة، ويحتاج فيه المسلم إلى الهدوء والسكينة؛ ليتمكن من الخشوع في عبادته لربه ومناجاته؛ يوجه الرسول (ﷺ) المسلمين إلى التزام السكينة والهدوء، وعدم إصدار الجلبة والضجيج إذ فيه قطع للخشوع وتشويش على المسلم في عبادته ومناجاته، ففي حديث سيدنا أَبِي قَتَادَةَ، (ﷺ) قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) إِذْ سَمِعَ جَلَبَةَ رِجَالٍ، فَلَمَّا صَلَّى دَعَاهُمْ فَقَالَ: " مَا شَأْنُكُمْ؟ " قَالُوا: اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ:(فَلَا تَفْعَلُوا إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا سُبِقْتُمْ فَأَتِمُّوا) [(١)].

(١) صحيح البخاري، ك: الأذان، ب: قول الرجل فاتتنا الصلاة، ج١ص ٢٢٨، حديث رقم ٦٠٩ ، صحيح مسلم ، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة،ج١ص ٤٢١، حديث رقم ٦٠٣.

وفي حديث سيدنا أبي سعيد (ﷺ) ، قال: اعتكف رسول الله (ﷺ) في المسجد، فسمعهم يجهرونَ بالقراءة، فكَشَفَ الستر فقال:(ألا إنَ كُلَّكم مُناجٍ ربَّه، فلا يُؤذِيَنَّ بعضُكم بعضاً، ولا يَرْفَعْ بعضُكم على بعضٍ في القراءة" أو قال: "في الصلاة) [(١)]، يقول الإمام البغوي: " وَكَذَلِكَ السُّنَّةُ فِي الْقِرَاءَةِ، وَفِي كُلِّ ذِكْرٍ يَأْتِي بِهِ خَلْفَ الإِمَامِ، أَنْ يُسْمِعَ نَفْسَهُ، وَلا يَغْلِبَ جَارَهُ، قَالَ الشَّعْبِيُّ: إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ، فَاقْرَأْ قِرَاءَةً تُسْمِعُ أُذُنَيْكَ، وَتُفَقِّهُ قَلْبَكَ، فَإِنَّ الأُذُنَ عَدْلٌ بَيْنَ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ" [(٢)].

فمع أن الدافع للمسلمين في إحداث تلك الجلبة والضجيج هو حرصهم على إدراك الصلاة وهو غاية محمودة إلا أن الرسول ﷺ ينهى عن ذلك ويأمرهم بعدم العودة والتزام الهدوء.

وفي الحديث الثاني رغم أن الصحابة (ﷺ) كانوا يرفعون أصواتهم بقراءة القرآن لا بكلام خارج، إلا أن النبي (ﷺ) أمرهم بعدم رفع الأصوات والجهر بالقراءة حماية للآخرين من الأذى السمعي.

٢- وفي أثناء ذهاب الصحابة إلى المسجد أو سعيهم للنسك أو السير في الطرقات؛ يحث الرسول (ﷺ) صحابته على خفض أصواتهم بالذكر والدعاء: ففي حديث سيدنا أبي هريرة (ﷺ)، عن النبي (ﷺ) قال: (إذا سَمِعتُم الإقامةَ فامْشوا إلى الصلاةِ؛ وعليكم بالسَّكينةِ والوَقارِ، ولا تُسرعوا، فما أَدركتُم فصلوا، وما فاتَكم فأَتِموا) [(٣)].

---

(١) سنن أبي داود، وحسنه شعيب الأرنؤوط، ك: الصلاة، ب: رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، ج٢ص ٤٩٤، حديث رقم ١٣٣٢.

(٢) شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي ت: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج٣ص ٨٧.

(٣)صحيح البخاري، ك: الأذان، ب: لا يسعى للصلاة وليأت بالسكينة،ج١ص ٢٢٨، حديث رقم ٦١٠.

وحديث سيدنا ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – أنه دفَعَ معَ النبيِّ (ﷺ) يومَ عرَفةَ، فسمعَ النبيُّ (ﷺ) وراءَهُ زجْراً شديداً، وضرباً وصوتاً للإبِلِ، فأشارَ بسوْطِهِ إليهِمْ، وقال: (أيها الناس! عليكم بِالسَّكينةِ؛ فإنَّ البِرَّ ليسَ بالإيضاعِ[(١)])[(٢)].

وكذلك حديث سيدنا أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: لما غزا رسولُ الله (ﷺ) خيبر كنا مع رسول الله (ﷺ) وفي رواية (قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي سَفَرٍ) فكنا إذا أشرفنا على واد، هلَّلْنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي (ﷺ):(أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ) [(٣)]، قال الطبري: " في هذا الحديث من الفقه كراهية رفع الصوت بالدعاء وهو قول عامة السلف من الصحابة والتابعين"[(٤)].

فالرسول (ﷺ) يحث صحابته على التزام السكينة والهدوء والوقار حال مشيهم إلى الصلاة حتى ولو لم يدركوا الجماعة، وفي هذا دلالة على أهمية التزام السكينة والوقار أثناء المشي؛ وقاية من إحداث الضوضاء والجلبة، وفي الحديث الثاني رغم أن الصحابة يؤدون النسك ويحاولون الإسراع لكن مع صياح وأصوات، فأشار الرسول (ﷺ) عليهم بالتزام السكينة والهدوء.

---

(١) ضرب من العدو، وهو "الإسراع". يُنظر: غريب القرآن، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، ص٤٦٠، تحقيق: أحمد صقر، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

(٢) صحيح البخاري، ك: الحج، ب: أمر النبي عند الإفاضة ج٢ص ٦١٠، حديث رقم ١٥٨٧.

(٣) صحيح البخاري، ك: المغازي، ب: غزوة أحد، ج٤ص١٥٤١، حديث رقم ٣٩٦٨ ، صحيح مسلم، ك: الذكر والدعاء والاستغفار، ب: استحباب خفض الصوت بالذكر،ج٤ص ٢٠٧٦حديث رقم ٢٧٠٤.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ج٥ص ١٥٢، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج٦ص ١٣٥.

٣- وفي الأسواق كان من هديه (ﷺ) عدم رفع الصوت والصخب: ففي حديث سيدنا عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فِي التَّوْرَاةِ، فَقَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِصِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: وفيه : (... لَسْتَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ[1] بِالْأَسْوَاقِ - قَالَ يُونُسُ: وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ..... الحديث)[2].

وقد سئل عَنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي جُلَسَائِهِ، فَقِيلَ: (كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) ... لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ وَلا صَخَّابٍ، وَلا فَحَّاشٍ، وَلا عَيَّابٍ، وَلا مَدَّاحٍ)[3].

مما سبق يتضح:

١- حرص الرسول الكريم (ﷺ) على التزام أصحابه الهدوء والسكينة في كل مجالسهم وأماكنهم التي يرتادونها، لا سيما في أماكن العبادة التي يحتاج الناس فيها إلى ما يعينهم على الخشوع، كما هو الحال في أمر الصلاة وقراءة القرآن وأداء المناسك.

٢- إذا كان الإسلام نهى عن الجلبة والضوضاء ورفع الأصوات الصادرة عن المسلمين حال حرصهم على إدراك الصلاة في جماعة، والذكر في المناسك وتلاوة القرآن والدعاء؛ تحقيقاً للسكينة والهدوء في البيئة المجتمعية ومنعاً للأذى السمعي والتشويش على الآخرين، فإن منع الضوضاء والأصوات العالية الصادرة بلا فائدة وبصورة مبالغ فيها؛ لتحقيق ذلك الهدف أولى.

---

(١)"السخب" و"الصخب" بمعنى: الصياح والصوت والجلبة، لسان العرب ج١ص٤٦٤

(٢) مسند الإمام أحمد، أول مسند عبدالله بن عمرو بن العاص، ج٦ص ١٨٥، حديث رقم ٦٦٢٢.

(٣) شرح السنة للبغوي ج١٣ص٢٧٤.

٣- وإذا كان الرسول (ﷺ) نهى القرَّاء والذاكرين والمصلين عن رفع أصواتهم بما لا يؤذي الآخرين، فما بالنا بأصوات التليفونات المحمولة في المساجد على اختلاف رناتها من موسيقى وأغاني، وما بالنا بمن يثيرون الضجيج والضوضاء والجلبة والصياح لا لشيء إلا لِلَّهو والتسلية، وما بالنا بمن يرفعون أصوات أبواق السيارات والأجهزة الصوتية بالغناء والموسيقى وغيرها من الأصوات التي لا تنفع بل قد تضر.

٤- يقاس على أماكن العبادة التي يحتاج الناس فيها للهدوء والسكينة لأداء العبادة غيرها من الأماكن التي يحتاج الناس فيها الأمر ذاته لأغراض أخرى، فإذا كان من أهداف الإسلام تحقيق البيئة الملائمة للعبادة؛ ولهذا نهى عن رفع الأصوات والجلبة والضوضاء، فإن من أهداف الإسلام أيضاً تحقيق السكنة والهدوء للمرضى وطلاب العلم والمفكرين في مساكنهم وأماكنهم.

٥- هتمام الإسلام بخلو الأسواق وما على شاكلتها من أماكن عامة من الضوضاء والصخب، ويظهر هذا من صفة تعامله (ﷺ) في الأسواق، فما أحوجنا إلى الاقتداء بهذا الهدي النبوي الشريف والالتزام به في أسواقنا والأماكن العامة والتي أمست تعج بالملوثات السمعية حيث الأيمان الكاذبة، والصخب، والجهل ورفع الأصوات.

رابعًا: التوجيه إلى نظافة البيئة المجتمعية من الملوثات اللفظية:

إن حرص الإسلام على نظافة المجتمع من الكلمات النابية والألفاظ الفاحشة، والأحاديث المجانة التي تحرك الغرائز، وتثير الشهوات، وتؤذي أصحاب الفطر الصافية والطباع السليمة في أسماعهم وأنفسهم لا يقل عن حرصه على نظافة البيئة والمجتمع من الضوضاء والصخب والضجيج، ولقد تبين – فيما سبق – أن من صور التلوث السمعي التي يتعرض له الإنسان في المجتمعات المعاصرة انتشار الألفاظ القبيحة، والعبارات الخارجة، سواء على ألسنة العوام في الطرقات والأماكن العامة والأسواق، أو من خلال الوسائل المسموعة في وسائل المواصلات أو في المحال وحتى في البيوت.

من هنا كان الاهتمام بنظافة المجتمع من مثل تلك الملوثات، وفي سبيل ذلك جاءت توجيهات سيدنا رسول الله (ﷺ)، بصورة متكررة وفي أشكال متعددة لتحقيق ذلك:

١- فقد بين الإسلام ابتداء أن كل ما يتلفظ به الإنسان سيُسأل عنه من قبل ربه – سبحانه – قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1]، وإقرار مبدأ المحاسبة والمساءلة في هذا الميدان مهم، وقد سبق الحديث عنه.

٢- كما كان من هديه (ﷺ) تجنب كل ما تستقبحه وتستفحشه النفوس السليمة والفطر النقية من قول أو فعل، ففي حديث سيدنا عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما)، في وصف خلق الرسول (ﷺ) قال: (لَمْ يَكُنْ فاحِشًا، وَلا

(١) سورة ق آية: ١٨.

مُتَفَحِّشاً) [١]، وفي حديث سيدنا أَنَسِ بنِ مَالِكٍ (ﷺ) قال:(لَمْ يَكُنِ النبيُّ سَبَّاباً، وَلا فَحَّاشاً، وَلا لَعَّاناً...)[٢].

ونحن مطالبون بالاقتداء به وبسنته من بعده (ﷺ) قولاً وعملاً، من منطلق المحبة والطاعة ونيل الشفاعة، والطمع في القرب من منزله (ﷺ) في الفردوس الأعلى.

٣. نهى النبي (ﷺ) عن النطق بالكلام القبيح الفاحش في مواطن وأحاديث كثيرة منها؛ حديث سيدنا أبي هريرة (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ)، قال: (لا تهجَّرُوا...) أي لا تتكلموا بالهجر وهو الكلام القبيح[٣]، والهجر أو الهجار: هُوَ الْفُحْشُ وَالْخَنَا وَالْكَلَامُ الَّذِي لا ينبغي، وَيُقَالُ فِي هَذَا أَهْجَرَ إِذَا أَتَى بِهِ كَذَا ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ[٤].

٤. بيان عواقب من يتصف بالبذاءة واللعن والفحش: حيث نفى رسول الله (ﷺ) اتصاف المؤمن بمثل تلك الصفات مِنْ لعن، أو طعن، أو فحش، أو بذاءة اللسان، في الوقت الذي بيَّن فيه أن البذاءة من صفات المنافقين، ففي حديث سيدنا عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – عَنِ

(١) أصل الفحش الزيادة والخروج عن الحد، والفاحش البذيء اللسان، والفواحش عند العرب القبائح، الفاحش ذو الفحش والمتفحش الذي يتكلف الفحش ويعتمده لفساد حاله، صحيح مسلم شرح محمد فؤاد عبد الباقي ج٤ص١٨١٠حديث رقم ٢٣٢١، شرح صحيح البخاري لابن بطال ج٩ص ٢٢٩.

(٢) صحيح البخاري، ك: الأدب، ب: لم يكن النبي فاحشاً ولا متفحشاً، ج٥ص٢٢٤٣حديث رقم ٥٦٨٤، و(سبابا) يسب ويشتم الآخرين. (لعانا) يلعن الناس أو غيرهم، تعليق مصطفى البغا، نفس الموضع.

(٣) صحيح مسلم، ك: البر والصلة، ب: تحريم الظن والتجسس، ج٤ص١٩٨٥حديث رقم٢٥٦٣.

(٤)شرح النووي على مسلم ج١٨ص ١١٩.

النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: (لَيسَ المُؤمِنُ بالطَّعَان وَلَا اللعَان، وَلَا الفَاحِشِ، ولا البَذِي) [١]، وحديث سيدنا أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: (... وَالبَذَاءُ[٢] وَالبَيَانُ[٣] شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ) [٤].

وأخيراً فمن عواقب تلك الخصال أن الذي يتصف بها يبغضه الله وينال عقابه في النار، ففي حديث سيدنا أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: (..... وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ) [٥].

وحديث سيدنا أَبِي بَكْرَةَ (ﷺ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ) [٦].

---

(١) مسند الإمام أحمد ، مسندعبدالله بن مسعود، ج٤ص ٩٥حديث رقم ٣٩٤٦، الأدب المفرد للإمام البخاري، باب ليس المؤمن بالطعان، ج١ص ١٦٢، وقال الشيخ الألباني حديث صحيح.

(٢)الشافي في شرح مسند الشافعي، ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد ، تحقيق: أحمد سليمان، ياسر إبراهيم، ط١، مكتبة الرشد: الرياض، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ج١ص١٩٨.

(٣) البيان: التَّعمُّق في النُّطق والتَّفاصُح وَإِظْهَارَ التَّقدُّم فِيهِ عَلَى النَّاسِ، وَكَأَنَّهُ نَوع مِنَ العُجْب والكِبْر، النهاية في غريب الحديث والأثر ابن الأثير، ج١ص١٧٥.

(٤) أخرجه الترمذي وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وصححه الألباني، سنن الترمذي ت: أحمد شاكر، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في العي، ج٤ص ٣٧٥حديث رقم ٢٠٢٧.

(٥) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح، وصححه الألباني، سنن الترمذي ت أحمد شاكر، أبواب البر والصلة، باب ما جاءفي حسن الخلق، ج٤ص ٣٦٣حديث رقم ٢٠٠٢.

(٦) أخرجه ابن ماجه وصححه الشيخ شعيب في تحقيقه، سنن ابن ماجه بتحقيق شعيب الأرناؤوط، أبواب الزهد، ب: الحياء، ج٢ص ١٤٠٠، حديث رقم ٤١٨٤.

مما سبق يتضح أن: الإسلام نهى المسلم عن التلفظ بكل قول خارج فاحش بذيء، كما حذر من السباب واللعن وفحش القول، وجعل ذلك من علامات النفاق تارة، ومن علامات بغض الله تارة أخرى، ويقاس على ذلك كل ما نسمعه في مجتمعاتنا المعاصرة من ألفاظ وكلمات خارجة عن حدود الدين والأدب والعرف، فأين أولئك الذين يرفعون أصواتهم بالفحشاء؟ ويتغنون بها، ويخاطبون بعضهم بعضاً بألفاظ تعاف الأذن الاستماع إليها وتؤذيها، والألسنة النظيفة النطق بها – أين هم – من تلك التعاليم والتوجيهات السامية الراقية؟ إن مثل تلك الأحكام خير رادع عن قول ما يلوث السمع لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

خامساً: النهي عن الترويع والإفزاع ولو مزاحاً:

إن الإسلام نهى ترويع الآمنين وإفزاعهم وإخافتهم بأي صورة من الصور أو شكل من الأشكال، وتلك خطوة مهمة من خطوات المنهج الإسلامي في التعامل مع التلوث السمعي، ومن النصوص الدالة على ذلك: حديث سيدنا أَنَسٍ (ﷺ)، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ:(مَنْ رَوَّعَ مُؤْمِنًا لَمْ يُؤَمِّنِ اللهُ رَوْعَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..) [(١)]، وحديث سيدنا أبي هريرة ﷺ أن رسول الله (ﷺ) قال:(لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا) [(٢)].

---

(١) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، باب الإصلاح بين الناس، ج١٣ص ٤٥٠حديث رقم ١٠٦٠٥.

(٢) سنن أبي داود ت الأرنؤوط ، وقال إسناده صحيح، أول كتاب الأدب، ب: من يأخذ الشيء على المزاح، ج٧ص ٣٥٢ حديث رقم ٥٠٠٤، السنن الكبرى للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ك: الشهادات، ب: المزاح لا ترد به الشهادة ج١٠ص ٤٢٠حديث رقم ٢١١٧٧.

ومما يستفاد من مثل تلك الأحاديث – كما ذكر الفقهاء – عدم جواز ترويع المسلم وإفزاعه ولو على سبيل المزاح أو كان هازلاً لما فيه من الإيذاء له [1].

ومع أن سياق الأحاديث كان في مواقف تتعلق بالترويع بالسلوك إلا أن منطوق الأحاديث ونصوصها يفيد النهي مطلقاً عن إفزاع الآمنين وترويعهم، إذ القاعدة الأصولية تفيد أن العبرة بعموم اللفظ، كما أن الترويع بالأصوات –خاصة في مجتمعاتنا المعاصرة – صار أشد ضرراً وخطراً لا سيما بعد اختراع الألعاب النارية من المفرقعات وغيرها، وكذلك استخدام كثير من الناس لأبواق السيارات بصورة مفزعة في أوقات الراحة وغيرها، بل نجد البعض يستخدم أبواقاً ذات أصوات مفزعة كمن يستخدمون صوت سيارة الإسعاف أو الشرطة، فكل تلك الأصوات مع ارتفاعها تعمل على ترويع الآمنين من المرضى والأصحاء، في المناسبات والأعياد وغيرها.

ومن ثم فإنها تشترك في علة التحريم مع ما جاء في الأحاديث الشريفة بل إنها أشد، ومن هنا تأخذ حكمها في النهي.

(١) ينظر: نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ت: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر،١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج٥ص ٣٧٩، عون المعبود وحاشية ابن القيم، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ، ج١٣ص ٢٣٦.

المبحث الرابع

خطوات علاج التلوث البصري

في ضوء تعاليم الإسلام

المبحث الرابع

خطوات علاج التلوث البصري في ضوء تعاليم الإسلام.

إن المتتبع لنصوص الإسلام وتعاليمه يتضح له أن الإسلام – من خلال تلك النصوص – وضع جملة من الإجراءات هي بمثابة خطوات عملية لحفظ البيئة الطبيعية والمجتمعية من التلوث البصري وقاية وعلاجاً، وفيما يلي نماذج من تلك الإجراءات والخطوات:

أولاً: الترغيب في النظافة وخلو البيئة من الملوثات البصرية:

إن من أولى الإجراءات – الوقائية والعلاجية – التي اتخذها الإسلام لحفظ البيئة من التلوث البصري الترغيب في النظافة والجمال – وهما من أهم عوامل القضاء على التلوث البصري – وذلك ببيان حب الله لهما تارة، وجعلهما في منزلة عالية وعلى درجة من الأجر عظيمة تارة أخرى ويتضح هذا من خلال النصوص التالية:

حديث سيدنا عبدالله بن مسعود (ﷺ) عن النبي (ﷺ) أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ..)[١]، وحديث سيدنا سعد بن أبي وقاص (ﷺ) قال (ﷺ) : (إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ) [٢]، وحديث سيدنا أَبِي ذَرٍّ (ﷺ) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) :(عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا إِمَاطَةَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ....

(١) صحيح مسلم ، ك: الإيمان، ب: تحريم الكبر وبيانه، ج١ص ٩٣حديث رقم٩١ .

(٢) سنن الترمذي، أبواب الأدب، باب ما جاء في النظافة، ج ٥ص ١١٢ حديث رقم ٢٧٩٩، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

الحديث) [١]، وحديث سيدنا أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) : (..... وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ....) [٢]، وحديث سيدنا أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَنْتَفِعُ بِهِ. قَالَ: (اعْزِلْ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ)، وفي رواية له: (دُلَّنِي عَلَى عَمَل يُدْخِلُنِي الجَنَّة قَالَ: (أَمِط الأَذَى عَنِ طَرِيقِ النَّاس) [٣].

فمن النصوص السابقة يتضح ما يلي:

١- حبب الرسول (ﷺ) في النظافة والجمال والطيب، من خلال وصف الله بها والحث عليها، والجمال والنظافة التي يُرغِّب فيها الإسلام لا تقتصر على الجانب الشخصي للإنسان وإنما تشمل الإنسان والبيئة على حد سواء، وهما موطن نظر الإنسان، وفيهما ما يُسْتحسن ويستقبح، فأما عن الترغيب في الجمال والنظافة على المستوى الشخصي فيدل عليه سياق الحديث الأول، حيث ورد في معرض الحديث عن التجمل في البدن، والحديث الثاني برواية الإمام مسلم فهو عام في كل طيب طاهر نقي، وأما عن النظافة والتجمل على مستوى البيئة الطبيعية والمجتمعية، فتدلل عليها باقي النصوص

---

(١) صحيح مسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: النهي عن البصاق في المسجد، ج١ص٣٩٠حديث رقم ٥٥٣، الأدب المفرد، باب إماطة الأذى، ج١ص١٢١.

(٢) صحيح مسلم، ك: الزكاة، ب: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل معروف، ج٢ ص٦٩٩ رقم ١٠٠٩.

(٣) سنن ابن ماجه ت: شعيب الأرنؤوط وقال إسناده حسن، أبواب الأدب، ب : إماطة الأذى عن الطريق، ج٤ص ٦٤٢حديث٣٦٨١، الأدب المفرد بالتعليقات، ب: إماطة الأذي ج١ص١٢٠حديث رقم ٢٢٨.

فرواية الإمام الترمذي جمعت إلى حب الله للنظافة الحث على نظافة الأفنية في البيوت، وباقي الأحاديث رغبت في نظافة الطرقات.

٢- جعل الإسلام خُلُو البيئة من الملوثات البصرية من محاسن الأعمال في صحائف المسلم، وعبادة من العبادات التي يتقرب بها المسلم لربه وصدقة ينال عليها الأجر من الله حيث قرن بينها وبين خطوات الإنسان إلى المساجد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك كما هو في الحديث، بل جعلت مثل تلك الأعمال باباً من أبواب النفع والخير، والفوز بالجنة، فأي دين هذا الذي يجعل نظافة الطريق عبادة يتقرب بها المسلم لربه وصدقة يتصدق بها على نفسه!

٣- الأخذ بأسباب الجمال والنظافة والتطيب سواء في النفوس أو البيوت والطرقات وغيرها عامل مهم من العوامل الدافعة للوقاية من التلوث البصري والذي ينتج – غالباً – عن عدم الاهتمام بالتجمل والنظافة على المستوى الشخصي والبيئي.

٤- يمكن الاستدلال بتلك النصوص على الجانب الوقائي والعلاجي في أمر التلوث البصري، فعلى الرغم من أن النصوص تحدثت عن إزالة الأذى وهو خطوة علاجية، إلا أنها تتناول ضمنياً من يتحرز عن وضعها، فإذا كان هذا الفضل في حق من يزيل مظاهر التلوث والأذى فهو من باب أولى يكون في حق من لا يصنع تلك الملوثات أصلاً، ومن ثم فإن الامتثال لهذا المبدأ يعد من عوامل الوقاية والعلاج من التلوث البصري في آن واحد.

ثانياً: الترهيب والتحذير من تعريض الناس للملوثات البصرية:

فإذا كان الإسلام رغَّب في المساهمة في علاج التلوث البصري والوقاية منه، وأعطى على ذلك الثواب الجزيل والأجر العظيم، فإنه في المقابل رهَّب وحذر من كل ما يفسد نقاء البيئة ويعمل على انتشار الملوثات البصرية بها، ومن ذلك: حديث سيدنا أَبِي ذَرٍّ (ﷺ) – السابق – قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : (عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، .... وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ) [(١)]، وحديث سيدنا أَنَسٍ (ﷺ)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ:(الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا) [(٢)]، وحديث سيدنا حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: (مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ) [(٣)]، وحديث سيدنا أبي هريرة (ﷺ) ، أن رسول الله (ﷺ) قال: (اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ) قالوا: " وَمَا اللَّعَّانَانِ؟ قال: (الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ) [(٤)]، وفي رواية ابن حبان (الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طُرُقِ النَّاسِ وَأَفْنِيَتِهِم) [(٥)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري، ك:أبواب المساجد، ب: كفارة البزاق في المسجد،ج١ص١٦١حديث رقم ٤٠٥.

(٣) المعجم الكبير للطبراني، ب: الحاء، أبوالطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسد ج٣ص ١٧٩ رقم ٣٠٥٠، ت: حمدي عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط١٩٩٤/٢م، وقال الهيثمي : إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج١ص ٢٠٤حديث رقم ٩٩٦.

(٤) صحيح مسلم، ك: الطهارة، ب: النهي عن التخلي في الطرق والظلال، ج١ص ٢٢٦حديث رقم٢٦٩.

(٥) صحيح ابن حبان – مخرجا، ذكر الزجر عن البول في طرق الناس وأفنيتهم، ج٤ص ٢٦٢حديث رقم ١٤١٥وقال شعيب الأرناؤط إسناده صحيح .

يقول الإمام النووي – رحمه الله –:" قَالَ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ: الْمُرَادُ بِاللَّاعِنَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْجَالِبَيْنِ لِلَّعْنِ، الْحَامِلَيْنِ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَالدَّاعِيَيْنِ إِلَيْهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ فَعَلَهُمَا شُتِمَ وَلُعِنَ، يَعْنِي: عَادَةُ النَّاسِ لَعْنُهُ، فَلَمَّا صَارَا سَبَبًا لِذَلِكَ أُضِيفَ اللَّعْنُ إِلَيْهِمَا، قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ اللَّاعِنُ بِمَعْنَى الْمَلْعُونِ، وَالْمَلَاعِنُ مَوَاضِعُ اللَّعْنِ. قُلْتُ: فَعَلَى هَذَا يَكُونُ التَّقْدِيرُ: اتَّقُوا الْأَمْرَيْنِ الْمَلْعُونُ فَاعِلُهُمَا. وَهَذَا عَلَى رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ، وَأَمَّا رِوَايَةُ مُسْلِمٍ فَمَعْنَاهَا –وَاللَّهُ أَعْلَمُ–: اتَّقُوا فِعْلَ اللَّعَّانَيْنِ، أَيْ صَاحِبَيِ اللَّعْنِ، وَهُمَا اللَّذَانِ يَلْعَنُهُمَا النَّاسُ فِي الْعَادَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ"(١).

مما سبق يتضح أن: الإسلام عالج بعض مظاهر التلوث البصري، والتي تُعرِّض الناس للأذى والضرر المعنوي، كالبزق في المساجد ويقاس عليها أماكن تجمع الناس، إذ إن الحكمة في النهي عدم تعريض الناس للأذى – كما سيأتي– ، وقد جعل الرسول (ﷺ) هذا الأمر من مساوئ الأعمال وعدَّها خطيئة من الخطايا.

وأما عن قضاء الحاجة في طرقات الناس وظلهم، فالأذى البصري يأتي هنا من وجهين: **أولهما**: رؤية الغائط وهو أمر مقزز أو الالتياث به وهو أشد، **وثانيهما**: إمكانية رؤية الإنسان أثناء قضاء الحاجة وفيه من الأذى البصري والنفسي ما فيه، وهو أمر مشاهد من البعض في الأماكن الريفية وعلى قارعة بعض الطرق، وقد جعله الرسول (ﷺ) من الفعال التي يستحق فاعلها اللعن.

(١) شرح النووي على مسلم، ج٣ص ١٦١.

ثالثاً: الحض على حفظ البيئة الطبيعية من الإفساد والتشويه:

تبين فيما سبق أن من مظاهر التلوث البصري ما يتعلق بالبيئة الطبيعية بعناصرها المختلفة من اعتداء على المساحات الخضراء، وتشويه لمجاري المياه، ووضع النفايات في البراري وأماكن الظل والحدائق.

والمتتبع لتعاليم الإسلام يتبين له أن الإسلام حرص – من خلال توجيهاته – على وقاية تلك البيئة مما يلوث عناصرها ويظهرها في صورة تؤذي الناظرين، ويتضح هذا من خلال أمرين:

أولهما: التوجيه إلى المحافظة على عناصر الطبيعة وإنمائها، لا سيما المساحات الخضراء من الأرض بما فيها من أشجار مثمرة وحدائق مبهجة؛ وقاية من التصحر والخراب وهو أحد مظاهر التلوث البصري، ففي حديث سيدنا يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ (ﷺ) بَعَثَ جُيُوشًا إِلَى الشَّامِ، فَخَرَجَ يَمْشِي مَعَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَمما أوصاه به:(.... وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلَا تُخَرِّبَنَّ عَامِرًا، وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاةً، وَلَا بَعِيرًا، إِلَّا لِمَأْكَلَةٍ. وَلَا تَحْرِقَنَّ نَحْلًا، وَلَا تُغَرِّقَنَّهُ، وَلَا تَغْلُلْ وَلَا تَجْبُنْ) [(١)].

وحديث سيدنا أنس بن مالك (ﷺ) أن النبي (ﷺ) قال: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَفْعَلْ) [(٢)]، وحديث أم المؤمنين السيدة عائشةَ –رضيَ الله عنها – عن

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، أبوب الجهاد، ب: التحريق في أرض العدو، ج٤ص ١٠٩، موطأ مالك، ك: الجهاد، ب: النهي عن قتل النساء والصبيان في الغزو، ج٢ص ٤٤٨ حديث رقم ١٠.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة، المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، ج٢٠ص ٢٩٦، حديث رقم١٢٩٨١، الأدب المفرد مخرجا، باب اصطناع المال، ج١ص ١٦٨حديث رقم ٤٧٩، وصححه الألباني في الأدب المفرد.

النبي (ﷺ) قال: (مَن أعْمَرَ أرضاً ليْسَتْ لأحَدٍ؛ فهو أحَقُّ". قال عُروةُ: قضى به عُمَرُ رضي الله عنه في خلافته) (١).

ويتضح من تلك الأحاديث: أن الإسلام اهتم بالمحافظة على طبيعة البيئة وجمالها وما بها من كثافة خضرية، ففي حال الحرب وقتال العدو يحفظ الإسلام لعناصر البيئة طبيعتها، ويحافظ عليها من الإفساد والتشويه لتبقى تمد الإنسان بالبهجة والسرور والمتعة عند النظر إليها.

وإن اهتمام الإسلام بغرس الأشجار – والتي هي إحدى مصادر إشباع البصر – لم يتوقف حتى مع قيام الساعة، فأي دين هذا الذي يهتم بغرس الأشجار في الوقت الذي يذهل فيه الإنسان عن الولد والأهل والمال!

وفي الحديث الأخير يظهر اهتمام الإسلام بعمارة الأرض وإحيائها؛ لأن الأرض الميتة موحشة خربة ووجودها مظهر من مظاهر التلوث البصري.

ثانيهما: النهي عن تشويه عناصر الطبيعة بإلقاء المخلفات وغيرها، ويستدل على هذا من حديث سيدنا أبي هريرة السابق (اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ ....الحديث)، وحديث سيدنا معاذِ بن جبل، قال: قال رسولُ الله (اتَّقُوا الْمَلاعِنَ الثَّلاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، والظِّلّ) (٢)، والموارد: جمع مورد، وهو الماء الذي يرد عليه الناس من عين أو نهر، والمراد من "ظلهم" مستظلهم الذي اتخذوه مقيلا ومناخا، ينزلونه ويقعدون فيه (٣).

---

(١) صحيح البخاري، ك: المزارعة، ب: من أحيا أرضاً مواتاً، ج٢ص ٨٢٣، حديث رقم ٢٢١٠.

(٢) سنن أبي داود ت: شعيب الأرنؤوط وقال حسن لغيره، ك: الطهارة، ب: المواضع التي نهى عن البول فيها، ج١ص ٢١ حديث رقم ٢٦.

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ج٢ص ١٩٧.

ويستدل من تلك الأحاديث: على حرص الإسلام على بقاء عناصر الطبيعة نظيفة صافية خالية مما يؤذي البصر ويؤثر على النفس، أو على أقل تقدير لا يجعل الإنسان يستمتع بتلك الطبيعة كما ينبغي، لا سيما تلك التي يتعامل معها الإنسان بصورة مباشرة، كالأنهار والجداول والترع، وأماكن التنزه.

ويقاس على النهي عن قضاء الحاجة في تلك الأماكن النهي عن كل ما يطرح في مجاري المياه – من أنهار وغيرها – من مخلفات زراعية أو حيوانية أو حيوانات نافقة، أو غيرها من الأشياء التي تلوثها داخلياً وتشوه جمالها خارجياً، كما يُقاس على أماكن الظلِّ الحدائق والمتنزهات وأماكن التنزه في الصحراء لمن عادتهم ذلك.

رابعاً: الاهتمام بخلو أماكن تواجد الناس واجتماعهم من التلوث البصري.

فالمتأمل في نصوص الإسلام – سواء التي سبق ذكرها أو غيرها – يتضح له أن الإسلام حرص كل الحرص على نقاء البيئة المجتمعية المحيطة بالإنسان من كل ما يتأذى منه بصره، حيث جاءت النصوص الشرعية آمرة وناهية، مرغبة ومحذرة للعمل على نظافة أغلب الأماكن التي يرتادها الإنسان في حياته بداية من فناء البيت، مروراً بالطرقات والمساجد والأماكن العامة، ويتضح هذا من خلال ما يلي:

١- **الأفنية:** الأفنية هي مقدمات البيوت وعنوانها، ومظهر من مظاهر الجمال والنظافة أو القبح والتلوث، وإن من مظاهر التلوث البصري المنتشرة في مجتمعاتنا المعاصرة – خاصة في القرى وبعض الأماكن في المدن – وجود أكوام الأتربة أو المخلفات الحيوانية أو القمامة أمام البيوت في القرى، ووجود أكياس القمامة وما بها من بقايا

الطعام والفضلات في مداخل العمارات والبيوت بشكل يؤذي المارة في أبصارهم ونفوسهم قبل أجسادهم، فضلا عن أن تلك المظاهر تعطي انطباعاً سلبياً في النفوس عن البيوت وما بداخلها، من هنا كان حث الرسول (ﷺ)على نظافة الأفنية، ففي حديث سيدنا سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال (ﷺ) : (إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ) [١].

والفناء هو المكان الواسع أمام البيت، وقيل عتبة البيت وقبالته، ويقصد به مدخل البيت مما يلي الطريق [٢].

فنظافة أفنية البيوت وقبالتها، وعدم وجود الأذى والقاذورات أمامها من المظاهر الجمالية، ويحفظ البيئة من مظاهر التلوث البصري.

٢- **الطرقات:** من أكثر الأماكن التي أولاها الإسلام اهتماماً وحرِصَ على خُلُوِها من الملوثات البصرية وغيرها الطرقات؛ ولعل الحكمة من ذلك أن الطرقات من أكثر الأماكن البيئية استخداماً ومروراً من قِبَل أبناء المجتمع وغيرهم، ومن ثم فإذا كانت الطرقات نظيفة خالية مما يتأذى منه الناس بصرياُ كان لذلك أثره الإيجابي على نفسية المارة وحياتهم، وبالإضافة إلى ذلك فإن الطرقات في البلدة هي عنوان للبيئة والمجتمع، ودلالة على تحضره أو العكس، من هنا كان اهتمام

---

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ج٧ص ٢٨٤٦.

الإسلام بخلو الطرقات من الملوثات البصرية، سواء على المستوى النظري أو العملي.

فأما على المستوى النظري فهناك الكثير من النصوص النبوية التي وردت في هذا الشأن، وقد سبق ذكر بعضها ومنها: حديث سيدنا أَبِي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: (يُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صدقة) [(١)]، وحديث سيدنا حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: (مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ) [(٢)]، وحديث سيدنا أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ) عَنْ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ:(بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، –فأَخَذَهُ – فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ) [(٣)].

فالمتأمل في تلك الأحاديث الشريفة وغيرها يتضح له أن النصوص النبوية اهتمت بنظافة الطريق من الأذى بدرجة كبيرة، من خلال الأساليب المستخدمة في الدعوة إلى هذا الأمر، وما رتب على ذلك من جزاءات أخروية، والمكانة التي وضعت النصوص فيها ذلك العمل، ويفهم من الأحاديث أنه إذا كان الإسلام رتب على رفع الأذى من الطريق كل هذا الفضل وتلك المكانة، فإن وضع الأذى في الطريق – في المقابل – يترتب عليه ما يترتب من الآثام والذنوب والجزاء.

وأما على المستوى العملي: فقد اهتم الفقهاء بهذا الأمر ووجهوا إلى ضرورة حفظ الطرقات وتخليتها من كل ما يؤذي المارة ويوقع الضرر بهم

---

(١) صحيح البخاري ، ك: المظالم، ب: إماطة الأذى،ج٢ص ٨٧١ حديث رقم ٢٨٢٧.

(٢) سبق تخريج الحديث.

(٣) صحيح البخاري، ك: الجماعة والإمامة، ب: فضل التهجير إلى الظهر، ج١ص٢٣٣حديث رقم ٦٢٤، صحيح مسلم، ك: الإمارة، ب: بيان الشهداء، ج٣ص ١٥٢١حديث رقم١٩١٤.

ماديا كان هذا الضرر أم معنوياً، وكتب الفقه والسياسة الشرعية زاخرة بمثل تلك الأحكام والتوجيهات، ومن ذلك ما ورد من أنه" لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ إخْرَاجُ جِدَارِ دَارِهِ، وَلَا دُكَّانِهِ فِي الطرقات إلَى الْمَمَرِّ الْمَعْهُودِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا فِيهِ أَذِيَّةٌ، وَإضْرَارٌ عَلَى السَّالِكِينَ، كَالْمَيَازِيبِ الظَّاهِرَةِ مِنْ الْحِيطَانِ فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ، وَمَجَارِي الْأَوْسَاخِ الْخَارِجَةِ مِنْ الدُّورِ فِي زَمَنِ الصَّيْفِ إلَى وَسَطِ الطَّرِيقِ. بَلْ يَأْمُرُ الْمُحْتَسِبُ أَصْحَابَ الْمَيَازِيبِ أَنْ يَجْعَلُوا عِوَضَهَا مَسِيلًا مَحْفُورًا فِي الْحَائِطِ مُكَلَّسًا[(١)]، يَجْرِي فِيهِ مَاءُ السَّطْحِ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي دَارِهِ مَخْرَجٌ لِلْوَسَخِ إلَى الطَّرِيقِ، فَإِنَّهُ يُكَلِّفُهُ سَدَّهُ فِي الصَّيْفِ، وَيَحْفِرُ لَهُ فِي الدَّارِ حُفْرَةً يَجْتَمِعُ إلَيْهَا" [(٢)].

ومما ذكره الفقهاء أيضاً: " أَمَّا الطُّرُقَاتُ الضَّيِّقَةُ فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنْ السُّوقَةِ الْجُلُوسُ فِيهَا، وَلَا إخْرَاجُ مِصْطَبَةِ دُكَّانِهِ عَنْ سَمْتِ أَرْكَانِ السَّقَائِفِ إلَى الْمَمَرِّ؛ لِأَنَّهُ عُدْوَانٌ، وَيُضَيِّقُ عَلَى الْمَارَّةِ فَيَجِبُ عَلَى الْمُحْتَسِبِ إزَالَتُهُ، وَالْمَنْعُ مِنْ فِعْلِهِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ لُحُوقِ الضَّرَرِ بِالنَّاسِ"[(٣)].

ويقاس على مثل تلك الصور من الأذى والضرر التي ذكرها الفقهاء ما هو موجود في زماننا من مظاهر للتلوث البصري في الطرقات وأمام

---

(١) التكليس: التمليس. وطين التكليس: طين يُطلى به لستر حجارة الحائط. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميري، نشوان بن سعيد ٥٨٨٩/٩، تحقيق: حسين العمري وآخرين، ط١، دار الفكر: بيروت، دمشق، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م. وانظر: تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دوزي، تحقيق وتعريب: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، ط١، وزارة الثقافة العراقية: بغداد، ١٩٧٩.

(٢) نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، جلال الدين الشيزري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص ١٤.

(٣) معالم القربة في طلب الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد بن بن الأخوة، دار الفنون – كمبردج، ص: ٧٨.

البيوت من كثرة لوحات الإعلانات وأكوام القمامة، وإشغال الطرق بالآلات والبضائع والمباني وغيرها مما يذهب نظافة البيئة وجمالها.

ومن ثم فإن التزام هدي الإسلام في صورتيه النظرية والعملية يجعل الطرقات نقية نظيفة منظمة خالية من الأذى والإشغالات يقي من الملوثات البصرية وغيرها من كل ما يتأذى منه المارة.

٣- المساجد والأماكن العامة: المساجد بيوت الله، وهي دور عبادة المسلمين لربهم وأماكن تجمعهم، وقد حرص الإسلام على خلو المساجد من كل ما تتأذى منه الأبصار، حيث شدد الرسول (ﷺ) في هذا الأمر، ويظهر هذا فيما سبق من أحاديث جعلت طرح الأذى في المسجد خطيئة ومن مساوئ الأعمال، وفي المقابل فدفن الأذى وإماطته من المساجد من أفضل الأعمال وكفارة لطرحه، ففي حديث سيدنا أَنَسِ بن مالك (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ:(الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا) [١]، وحديث سيدنا أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) :(مَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ فَبَزَقَ فِيهِ أَوْ تَنَخَّمَ، فَلْيَحْفِرْ فِيهِ فَلْيُبْعِدْ، فَلْيَدْفِنْهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيَبْزُقْ فِي ثَوْبِهِ) [٢]، وحديث سيدنا سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ:(إِذَا تَنَخَّمَ أَحَدُكُمْ فِي الْمَسْجِدِ فَلْيُغَيِّبْ نُخَامَتَهُ أَنْ يُصِيبَ جِلْدَ مُؤْمِنٍ أَوْ ثَوْبَهُ فَيُؤْذِيَهُ) [٣].

---

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) سنن أبي داود ت: شعيب الأرناؤوط وقد حسن إسناده، ك: الصلاة، ب: كراهية البزاق في المسجد،ج١ص٣٥٥حديث رقم ٤٧٧.

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاصج٢ص٢٥٣حديث رقم ١٥٤٢.

فمما لا شك فيه أن من صور الأذى التي يتعرض لها الناس في أي مكان وقوع بصرهم على النخامة وما في حكمها مما يخرجه الإنسان، فلتلك الصورة أثر سلبي على النفس وتختلف شدته من إنسان لآخر، وفي الأحاديث السابقة بين الرسول (ﷺ) أن طرح النخامة أو البصاق في المسجد نوع من الخطيئة وأرشد إلى ضرورة دفنها، كما ذكر الحديث علة الأمر بدفن النخامة في المسجد وهو تجنيب المؤمنين الأذى.

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بوقاية المساجد من الملوثات البصرية؛ الأمر بإحسان الهيئة وأخذ الزينة عند الذهاب إلى المساجد، وسيأتي تفصيل ذلك في النقطة التالية.

وإذا كانت العلة من النهي – كما أشار الحديث – عدم تعريض المسلمين للأذى فيقاس على النهي عن تعريض المسلمين للأذى البصري في المسجد النهي عن تعريضهم له في أي مكان يجتمع فيه المسلمون من أماكن العمل والأسواق وغيرهما، فالأذى الذي يتعرض له الإنسان من رؤية النخامة واحد سواء أكان في المسجد أو خارجه.

خامساً: الاهتمام بضبط سلوك المسلم ومظهره الشخصي.

إن مظاهر التلوث البصري لا تقتصر على البيئة الطبيعة أو الأماكن العامة والطرقات، ولكن بعض الأشخاص – أحياناً كما سبق بيانه – يكونون مظهراً من مظاهر التلوث والأذى البصري في هيئتهم أو سلوكهم؛ من هنا فقد جاءت تعاليم الإسلام لتوجه المسلم إلى الاهتمام بمظهره الخارجي بحيث لا يتأذى منه أحد، وضبط سلوكه بآداب الإسلام فلا يتصادم مع فطرة نقية، **ومما ورد في ذلك:**

١- فيما يتعلق بمظهر الإنسان الشخصي وهيئته؛ فقد اهتم الإسلام من خلال آدابه وتشريعاته بمظهر المسلم في هيئته وملبسه؛ ليظهر بصورة حسنة غير منفرة ولا تصدم نظر أصحاب الفطر السليمة، ومن ثم لا تظهر مثل تلك الصور التي نراها في مجتمعاتنا اليوم، ومن التوجهات في ذلك: قول الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾[١]، فبالوقوف على سبب نزول تلك الآية الكريمة – فيما ذكره المفسرون – يتضح أن المقصود بالزينة هنا اللباس الحسن الذي تُستر به العورة، وأن التكشف والتعري قبح وأذى يجب ستره عن أعين الناس، حيث إن الآية نزلت فيمن كانوا يطوفون بالبيت عرايا فأمر القرآن بأخذ ما يستر تلك العورات من ثياب حسنة، وبمفهوم المقابلة يفهم أن التستر بالثياب الحسنة هو الزينة وأن ما يقابله من كشف العورة قبح وفحش[٢].

ومن ثم فإن ما يظهر اليوم في مجتمعاتنا من عورات النساء والرجال بسبب لبس الثياب القصيرة أو الممزقة – باسم الموضة – هو نوع من القبح والتلوث البصري، والذي يجب ستره بالثياب الحسنة، والفطرة السليمة تؤيد هذا، فإن ستر العورة والتحجب يضفي على الإنسان جمالاً ووقاراً.

وأما ظاهر الآية فإنها تأمر بأخذ الزينة والتجمل عند الذهاب لأماكن العبادة، وهي الأماكن التي يغلب عليها الاجتماع والتقارب، ومن ثم فإن ظهور الإنسان بمظهر قبيح يؤذي الآخرين في أبصارهم، ولهذا أمرهم بأخذ الزينة في تلك الأماكن، وكل مكان مظنة الاجتماع والالتقاء.

---

(١) سورة الأعراف من آية:٣١.

(٢) ينظر: تفسير المراغي ج٨ ص ١٣٢.

ويتضح من هدي الإسلام وتشريعاته في هذا الأمر تشريع الإسلام للأغسال الواجبة منها والمسنونة، وكذلك الوضوء للصلاة، وغسل اليدين والفم بعد الطعام والسواك، وكل ما من شأنه أن يزيل الأذى عن البدن ويظهره في صورة حسنة أمام أبناء مجتمعه ممن يتعاملون معه، وكذلك في أمر الثياب والهيئة نجد النبي (ﷺ) يحرص دائما على أن يظهر بمظهر حسن وهيئة جميلة ويربي صحابته على هذا، ومن النصوص الواردة في ذلك: حديث سيدنا أبي الدرداء أن النبي (ﷺ) قال:(إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ، حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ[١] فِي النَّاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ، وَلَا التَّفَحُّشَ) وفي رواية:(.. فَأَحْسِنُوا لِبَاسَكُمْ وَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ) [٢].

والمراد:" كُونوا فِي أحْسَن زِيّ وَهَيْئَةٍ حَتَّى تَظهَرُوا لِلنَّاسِ وَيَنْظُرُوا إِلَيْكُمْ، كَمَا تَظْهَرُ الشَّامَةُ ويُنْظَرُ إليها دون باقي الجسد"[٣].

ففي الحديث الشريف توجيه نبوي كريم بأن يكون المسلم – بين الناس – علامة بارزة في مظهره وهيئته، بنظافة الملبس والعمامة والبدن، وإحسان المركب بلا مبالغة، كما يفهم من سياق الكلام أن الفحش هنا

(١) الشَّأْمَةُ: الْخَالُ فِي الْجَسَدِ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ج٢ص ٤٣٦.

(٢) سنن أبي داود تحقيق شعيب الأناؤوط، وقال الشيخ شعيب إسناده محتمل للتحسين، ك: اللباس، ب: ما جاء في إسبال الإزار، ص٦ج١٨٧ حديث رقم ٤٠٨٩ أخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الإمام الذهبي ، المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١،١٤١١ –١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب اللباس، باب حديث عبدالله بن عباس، ج٤ص٢٠٣حديث رقم٧٣٧١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ج٢ص ٤٣٦.

فحش بصري، ويتمثل في الهيئة الرثة والمظهر القبيح وما يماثله مما تقع عليه الأبصار من قبح [1].

وهذا النص النبوي يذكر معنى آخر للتلوث البصري وهو سوء الهيئة وبذاءة المنظر واللباس.

وفي حديث سيدنا جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (ﷺ) قَالَ: (أَتَانَا رَسُولُ اللهِ(ﷺ) ، فَرَأَى رَجُلًا شَعِثًا، قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ، فَقَالَ: "أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ؟" وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ: "أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ) [2]، وفي رواية أخرى: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ(ﷺ) فِي غَزْوَةِ بَنِي أَنْمَارٍ وَعِنْدَنَا صَاحِبٌ لَنَا نُجَهِّزُهُ يَذْهَبُ يَرْعَى ظَهْرَنَا، قَالَ فَجَهَّزْتُهُ. ثُمَّ أَدْبَرَ يَذْهَبُ فِي الظَّهْرِ وَعَلَيْهِ بُرْدَانِ لَهُ قَدْ خَلُقَا، قَالَ: فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ إِلَيْهِ فَقَالَ: (أَمَا لَهُ ثَوْبَانِ غَيْرُ هَذَيْنِ؟) فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. لَهُ ثَوْبَانِ فِي الْعَيْبَةِ. كَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا. قَالَ: (فَادْعُهُ، فَمُرْهُ فَلْيَلْبَسْهُمَا). قَالَ: فَدَعَوْتُهُ فَلَبِسَهُمَا. ثُمَّ وَلَّى يَذْهَبُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ(ﷺ):(مَا لَهُ ضَرَبَ اللهُ عُنُقَهُ، أَلَيْسَ هذَا خَيْراً؟)[3].

---

(١) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج١ص١٩٢حديث رقم٢٥٧، شرح سنن أبي داود، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ج١٧ ص٤٥٨.

(٢) صحيح ابن حبان تحقيق وتخريج الشيخ شعيب الأرناؤوط، ك: الزينة، ب: ذِكْرُ الْأَمْرِ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الشَّعْرِ لِمُرَبِّيهِ وَتَنْظِيفِ الثِّيَابِ ج١٢ص٢٩٤حديث رقم ٥٤٨٣ وقال الشيخ شعيب إسناده صحيح.

(٣) موطأ مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني ت: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد للأعمال الخيرية والإنسانية -الإمارات، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ج٥ص ١٣٣٦حديث رقم ٣٣٧٣.

فأين أولئك الذين يتعمدون لبس الثياب الممزقة من على الأرجل وغيرها من بعض مواضع الجسد باسم الموضة من هذا الحديث، وقد أنكر الرسول (ﷺ) على الرجل بذاءته، وقبح هيئته، واستحسن مظهره عندما حسَّن من لباسه، فمما لا شك فيه أن الطباع السليمة تنفر من الهيئة القبيحة وتتأذى منها، وتنجذب إلى الهيئة الحسنة وتألفها.

بل إن سيدنا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) يوجه أهل العلم والقُرَّاء إلى إحسان هيئتهم ولباسهم بقوله: (إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى الْقَارِئِ أَبْيَضَ الثِّيَابِ)[١]، والمعنى المراد أَيْ: " أَسْتَحِبُّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ حُسْنَ الزِّيِّ وَالتَّجَمُّلِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ، قَالَهُ الْبَاجِيُّ"[٢].

فأهل العلم يلتقون بالناس كثيراً ويجتمعون بهم، وهم محط أنظار الجميع، ومن ثم فإن ظهورهم في صورة منفرة يكون فيه أذى إذا ما وقعت أعين الناظرين عليهم.

ومن ثم يظهر اهتمام الإسلام بمظهر الإنسان والتوجيه إلى تحسينه حتى لا يكون مصدر أذى لغيره من بني جنسه في ملبسه وهيئته.

٢ – **وأما فيما يتعلق بسلوك الإنسان:** فقد شرَّع الإسلام من الأحكام والآداب ما يضبط سلوك المسلم – رجل أو امرأة – في مشيته وحركاته وكلامه، بحيث يصطبغ كل جنس بصبغته التي فطره الله عليها، وإن من أبرز صور التلوث البصري المنتشرة في مجتمعاتنا المعاصرة رؤية الميوعة والخلاعة والتخنث والتشبه في سلوك الشباب من الجنسين، إنها من

(١) المرجع السابق ج٥ص١٣٣٦، ١٣٣٧حديث رقم ٣٣٧٤.

(٢) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ،ج٤، ص٢٢٤.

الصور والمظاهر المرئية التي تؤذي ذوي الفطر السليمة وتعتدي عليها.

والمتأمل في نصوص الإسلام يتضح له أن الإسلام عالج مثل تلك المظاهر والصور المبتذلة، فوجه إلى الاعتدال في الحركات والسلوكيات بداية من خطوات الإنسان وحركاته وحتى كلماته ونبرات صوته، قال تعالى:﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾[1]، وقال – سبحانه –:﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا ﴾[2]، وقال في حق النساء:﴿ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[3].

وفي حديث سيدنا ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: لَعَنَ النبيُّ(ﷺ) المُخَنَّثين مِنَ الرِّجالِ والمُتَرَجِّلاتِ مِنَ النِّساءِ (وفي روايةٍ: المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال)، وَقالَ:(أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ، قالَ فأَخْرَجَ النبيُّ (ﷺ) فُلاناً، وَأَخْرَجَ عُمَرُ فُلاناً، وفي رواية له (ﷺ): أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) لَعَنَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَلَعَنَ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ)[4].

قال الطبري: فيه من الفقه أنه لا يجوز للرجال التشبه بالنساء في اللباس والزينة والأفعال والخصال التي هي للنساء خاصة، ولا يجوز للنساء التشبه بالرجال فيما كان ذلك للرجال خاصة من لباس وخصال وفعال [5].

---

(١) سورة لقمان من آية: ١٩.

(٢) سورة لقمان من آية:١٨.

(٣) سورة النور من آية:٣١.

(٤) سنن أبي داود ت شعيب الأرناؤوط وقال إسناده حسن، أول كتاب اللباس، ب: في لباس النساء، ج٦ص١٩٤حديث رقم ٤٠٩٧، مسند الإمام أحمد، مسند عبدالله بنالعباس،ج٣ص٥١حديث رقم ٢٢٩١.

(٥) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ج٩ص ١٤٠، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج٢٢ص ٤١.

فكيف بهؤلاء وأولئك من الفتيان والفتيات ممن لا يمكن التمييز بينهم وبينهن في الملبس والهيئة والمشية بل والكلام، وغير ذلك من الصور السلبية التي تؤذي الأبصار.

وبعد فتلك أهم الخطوات العملية التي يمكن استنباطها من تعاليم الإسلام السمحة لعلاج تلك الظاهرة – التلوث السمعي والبصري– ومن قبلها كانت الأسس والمنطلقات التي يقوم عليها ذلك المنهج، يتبقى إعلام الناس بمفردات هذا المنهج وتوجيههم إلى الالتزام به، وهو دور الدعاة إلى الله والمؤسسات التعليمية والتربوية والإعلامية، وهذا موضوع يحتاج إلى بحث مستقل.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد فقد طوفت في صفحات هذا البحث مع موضوع التلوث السمعي والبصري وعلاجه في ضوء الإسلام، ومن خلال البحث في هذا الموضوع تم التوصل إلى ما يلي من نتائج وتوصيات:

أولاً: النتائج:

١- الإنسان في حاجة إلى إشباع حواسه وروحه بما يناسبها من مسموعات ومرئيا وغيرهما.

٢- التلوث السمعي والبصري لا يقل خطراً عن التلوث الغذائي والهوائي، بل قد يزيد أحياناً، حيث يعطل حاستي السمع والبصر عن القيام بما ينبغي القيام به من أعمال، ويؤثر على الإنسان.

٣- التلوث السمعي والبصري لم يولد من تلقاء نفسه، ولم يحدث نتيجة خلل في الطبيعة، وإنما ظهر في المجتمعات المعاصرة نتيجة إفساد الناس في البيئة الطبيعية والمجتمعية.

٤- لقد وضع الإسلام من خلال نصوصه وتشريعاته منهجاً سديداً للتعامل مع ظاهرة التلوث السمعي والبصري وقاية وعلاجاً.

٥- من أهم أسس ومنطلقات المنهج الإسلامي في التعامل مع التلوث السمعي والبصري؛ تصحيح النظرة إلى البيئة وإحسان التعامل معها، التربية الجمالية للمسلم، ربط السلوك البيئي بالعقيدة، استشعار المسؤولية وتقوى الله تعالى.

ثانياً: التوصيات:

١- على الدعاة إلى الله تعالى أن يقوموا بدورهم في مواجهة التلوث السمعي والبصري بعرض تعاليم الإسلام وأحكامه وتشريعاته المتعلقة بتلك القضية عبر ما يُتاح لهم من قنوات شرعية.

٢- أوصي الآباء والأمهات أن يربوا أبناءهم على احترام البيئة التي يعيشون فيها سواء أكانت عناصر طبيعية أم سكنية أم بشرية أو حتى كائنات حية، والمحافظة على جمالها.

٣- أهيب بالمؤسسات التعليمة أن تولى قضايا البيئة اهتماماتها من خلال مناهج الدراسة والبرامج التثقيفية، والنشاطات العملية.

٤- على وسائل الإعلام دور خطير ومهم حيال تلك القضية يتمثل في بيان خطورة التلوث السمعي والبصري وحث الناس على التخلي عن السلوكيات السلبية التي تعمل على انتشار مظاهره في المجتمع، ثم تثقيف الناس بالسلوكيات الصحيحة حيال ذلك.

٥- أدعو المؤسسات البحثية والباحثين إلى الاهتمام ببحث القضايا الجديدة التي تمثل ظواهر مجتمعية لوضع العلاجات الناجحة لها.

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ت: سالم محمد عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٣- الإنسان وقضايا البيئة – د. ضاري العجمي ، د. عبدالمنعم مصطفى ط ١/ ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٤- البيئة والإنسان رؤية إسلامية – د. زين الدين عبد المقصود ط دار البحوث العلمية – ط أولى – الكويت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٥- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
٦- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، عثمان بن علي بن محجن البارعي، المطبعة الكبرى الأميرية القاهرة، ط١، ١٣١٣ هـ.
٧- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.
٨- التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر– القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
٩- الجواهر الحسان في تفسير القرآن أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ – ١٤١٨ هـ.

١٠-حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، دار الفكر.

١١-حماية السكينة العامة، ضيف الله بن رمضان بن صنيدح العنزي،١٤٢٣هـ – ١٤٢٤هـ، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

١٢-روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي، دار الفكر – بيروت.

١٣-سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – البابي الحلبي.

١٤-سنن أبي داود ت: شعَيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

١٥-سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى، ت: أحمد محمد شاكر وآخران، مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

١٦-السنن الكبرى للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

١٧-شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٨-شرح النووي على مسلم، فتح المنعم، موسى شاهين لاشين، دار الشروق ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.

١٩-شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، مكتبة الرشد السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٠-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤/ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٢١-صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

٢٢-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت. ط٢، ١٩٩٥ م.

٢٣-علم النفس البيئي، عبد الرحمن محمد عيسوي، منشأة المعارف الإسكندرية١٩٩٧م.

٢٤-عون المعبود وحاشية ابن القيم، محمد أشرف بن أمير بن علي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥هـ .

٢٥-العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: د مهدي المخزومي وآخر، مكتبة الهلال.

٢٦-فتح الباري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩م.

٢٧-فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد ابن الهمام، دار الفكر.

٢٨-فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

٢٩-لسان العرب، محمد بن مكرم بن على بن منظور، دار صادر – بيروت، ط٣/١٤١٤ هـ.

٣٠-مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٣١-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٣٢-المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١٤١١،١ –١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٣٣-مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م.

٣٤-معالم القربة في طلب الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد بن بن الأخوة، دار الفنون – كمبردج.

٣٥-معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت

٣٦-معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.

٣٧-مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٣٨-المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد، مكتبة القاهرة١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٣٩-مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.

٤٠-المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد، مطبعة السعادة – مصر، ط١، ١٣٣٢هـ.

٤١-موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي، دار إحياء التراث العربي – مصر.

٤٢-نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، جلال الدين الشيزري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٤٣-النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

٤٤-نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ت: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر،١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة.	١٤٤٩
٢	التمهيد.	١٤٥٤
٣	المبحث الأول: التلوث السمعي والبصري المظاهر الأسباب والآثار.	١٤٥٩
٤	أولاً: مظاهر التلوث السمعي في المجتمعات المعاصرة.	١٤٦٣
٥	ثانياً: مظاهر التلوث البصري في البيئة المعاصرة.	١٤٦٧
٦	ثالثاً: أسباب التلوث السمعي والبصري.	١٤٦٩
٧	رابعاً: آثار التلوث السمعي على الإنسان.	١٤٧٥
٨	خامساً: آثار التلوث البصري على الإنسان.	١٤٨١
٩	المبحث الثاني: أسس ومنطلقات الإسلام في علاج التلوث السمعي والبصري.	١٤٨٥
١٠	أولاً: ترسيخ الفهم الصحيح لعلاقة الإنسان بالبيئة.	١٤٨٧
١١	ثانياً: اهتمام الإسلام بالتربية الجمالية للمسلم.	١٤٩١
١٢	ثالثاً: الربط بين العقيدة وبين ما يحقق السلام السمعي والبصري من سلوك.	١٤٩٢
١٣	رابعاً: التلوث السمعي والبصري ضرر نهى عنه الإسلام.	١٤٩٥
١٤	خامساً: استشعار المسئولية العامة نحو شركاء البيئة والمجتمع.	١٤٩٩
١٥	سادساً: تقوى الله ومراقبته وقاية للمجتمع من التلوث السمعي والبصري.	١٥٠١
١٦	المبحث الثالث: خطوات علاج التلوث السمعي في ضوء تعاليم الإسلام.	١٥٠٣
١٨	أولاً :التأكيد على حاجة الإنسان إلى السكينة والعمل على تحقيقها	١٥٠٥
	ثانياً: الحث على الاعتدال في الصوت ونداوته والنهي عن الإسراف في الكلام.	١٥٠٨
١٩	ثالثاً: الحرص على تخلية أماكن اجتماع الناس من الضوضاء والصخب.	١٥١٣

٢٠	رابعاً: التوجيه إلى نظافة البيئة المجتمعية من الملوثات اللفظية.	١٥١٨
٢١	خامساً: النهي عن الترويع والإفزاع ولو مزاحاً.	١٥٢١
٢٢	**المبحث الرابع: خطوات علاج التلوث البصري في ضوء تعاليم الإسلام.**	١٥٢٣
٢٣	أولاً: الترغيب في النظافة وخلو البيئة من الملوثات البصرية.	١٥٢٥
٢٤	ثانياً: الترهيب والتحذير من تعريض الناس للملوثات البصرية.	١٥٢٨
٢٥	ثالثاً: الحض على حفظ البيئة الطبيعية من الإفساد والتشويه.	١٥٣٠
٢٦	رابعاً: الاهتمام بخلو أماكن تواجد الناس واجتماعهم من التلوث البصري.	١٥٣٢
٢٧	خامساً: الاهتمام بضبط سلوك المسلم ومظهره الشخصي.	١٥٣٧